روايات الهلال

مسألة وقت

منتصر القفاش

مسألة وقت

منتصر القفاش

دار الهلال



الخطوط للفنان : محمد العيسوى

الغلاف للفنان : هشام نوار

المتابعة : ياسر شعبان

فـقـال الشـاب: يا ملك الزمـانِ أتدري مـا بينك وبين مـدينتك؟ فـقـال الملكُ: يومـان ونصف.عند ذلك قـال له الشاب: أيها الملكُ إن كنتَ نائمًا فاستيقظْ، إن بينك وبين مـدينتك سنةً للمُجِدِّ، ومـا أتيت في يومين ونصف إلا لأن المدينةَ كانتْ مسْحُورةً.

(من ألف ليلة وليلة)

صمت سائق التاكسى دقائق ثم نطق بكلمة دنيا ، وتحدث عن أمنيته فى أن تصير كل أيام الأسبوع يوم الجمعة، فيستطيع العمل براحته دون التوقف فى إشارات كثيرة والاختناق من الزحمة. سمع يحيى هذه الأمنية كثيرا لكنه حينما سمعها بعد زيارة رنا وجد أنها أفضل طريقة ليحكى حكايته. أمنية مستحيلة تتردد دائما كأنها شىء حدث فى يوم من الأيام، وتقدر على أن تمد منها حوارا يشاركك فيه أى شخص وتبدوان فى طريقكما إلى تحقيقها.عدّد يحيى مزايا يوم الجمعة الذى لا ينتهى، والسائق يوافق على كل ما يقوله ويضيف إليه، لم يرغب يحيى فى التوقف عن الكلام ولا الوصول بسرعة. تمنى لو ازدحم الشارع فجأة بالعربات ومنعت إشارات المرور انطلاق التاكسى. ظل يتكلم بخبرة من كانت كل أيام حياته يوم الجمعة فقط وإن كان لا يستطيع الكلام عن هذا إلا مع من عاش نفس الخبرة أو على الأقل حلم بها.

حينما عرض عليها ارتداء أحد قمصانه بدلا من بلوزتها المقطوعة من الظهر، وافقت على الفور عكس ما كان يتوقع ، فكر فى سؤالها عما ستقوله عند عودتها إلى البيت، لكنه ابتعد عن الأسئلة التى تستحضر رقابة أسرتها، واقترح عليها إدخال طرف القميص فى البنطلون. لم تهتم وظلت تنظر فى أنحاء الغرفة. كلامها قليل منذ أن فاجآته بقدومها.

– معلش الأوضة مش متوضبه.

حينما أراد أن يعطيها البلوزة بعد وضعها فى كيس، أجابته

– بعدين

– ليه؟

خرجت منه الكلمة تلقائيا. شعر بأن وقعها سيكون سيئا على رنا، وقد تفهم أنه يريد تنظيف المكان من كل آثار لقائهما. لم تجب على سؤاله وانشغلت بارتداء القميص.

أسئلة كثيرة قرر تأجيلها، خاصة أنها المرة الأولى التى لا تتحمل سوى سرعة التواطؤ وعدم التوقف عند المقدمات. كتب رقم تليفونها وسألها عن أنسب أوقات الاتصال بها.

– أى وقت

وأعطته تليفون صديقتها ناهد للطوارئ وإذا لم يجدها فى البيت. أحس بإنها تريد إبلاغه برقم آخر لكنها لوحت له بيدها وخرجت من غرفته. أومأت برأسها لأمه حينما وجدتها فى الصالة وفتحت باب الشقة وأغلقته وراءها.

سألته أمه

– مين اللى خرج

– رنا

– خرجت بسرعة أوى

سأل أمه بعد ذلك هل رأتها فعلا، سرحت قليلا وأكدت أنها لم تنتبه إلا مع فتح الباب وإغلاقه.

وهى تخرج من غرفته توقع تعثرها فى السجادة أو اصطدامها بالكرسى المجاور للباب أو احتباس صوتها وهى تودع أمه، لكنها عبرت

الصالة وخرجت بهدوء ساكني البيت ومعرفتهم بكل شيء فيه. قرر في زيارة رنا التالية أن يفرض إيقاعه أكثر، ولا يؤجل أي سؤال يخطر في باله: لماذا اختارته، كيف عرفت أنه في البيت كما قالت، ماذا قالت لأمها عندما عادت بقميصه، كيف لم تقلق من وجود أمه وتعاملت معه على أنه أمر طبيعي. وسيظل السؤال الذي قد يقوله وهو يضحك ليخفف من حدته: لماذا لا تخاف ولا تقلق من أي شيء؟ وقد لا يحتاج إلى سؤالها، وستشرح له كل شيء بعد أن يمتد بينهما الكلام. وماذا سيفعل لو راحت تخلع ملابسها بسرعة كما فعلت في المرة الأولى، هل سيمنعها ويطلب منها الانتظار، طلب مثل هذا سيفقده زمام المبادرة ويظهره بأنه يحاول اللحاق بها. الحل الأفضل أن يكون لقاؤهما القادم في شقة صديقه أحمد، إيقاع رنا السريع يحتاج إلى مكان آمن لا يقلقهما فيه أي شخص، ويتيح لهما أن يقضيا معا وقتا أطول وليس نصف ساعة فقط. انتظر المرة القادمة ليصلح أخطاءه في الزيارة الأولى. لا يتذكر أنه أخطأ كل هذه الأخطاء من قبل، دائما كان الطرف الثاني يشاركه الحذر، أما معها فكان هو بمفرده من يحذر ويتمهل ويقلق. طمأنه أحمد وأكد له أن شقته تحت أمره فهو لم يطلبها منه منذ زمن، لكنه نبهه لاحتمال أن تزوره مرة ثانية بدون موعد وعليه أن يحذرها ألف مرة

صح

قالها استجابة لاقتراح أحمد ولخوفه المفاجئ من أن يكون رقم التليفون خطأ. أفهمته رنا إمكانية الاتصال بها في أي وقت والسؤال

عنها ما فيش مشاكل هم بتكرار الجملة لكنها كانت فتحت باب غرفته وخرجت.

لم يتأكد من وقت موتها إلا بعدما ذهب للعزاء. عرف أنها غرقت حوالى الساعة العاشرة صباحا قبل المجيء إليه، عثروا على جثتها عند قاع النيل بعد خمس ساعات من غرق المعدية، ولا يعرف حتى الآن سبب تأخرهم فى العثور عليها، هل لكثرة من تم انتشالهم من الأحياء والجثث أم لتأخر الغواصين فى الوصول إلى موقع الحادث أم لأنها لم تعد إلى مكانها عند القاع إلا بعد مرور هذا الوقت؟

تمنى لو سأل والدها فى العزاء عما كانت ترتديه حينما عثروا عليها، اكتفى بإعادة سؤاله عن الوقت الذى غرقت فيه المعدية.

– الساعة عشرة تقريبا

نظر يحيى فى ساعته ليمنع نفسه من تكرار السؤال. يرغب فى أن يكرره مرات ومرات طالما يوقن أنها كانت معه الساعة الواحدة وغادرت بيته بعد نصف ساعة تقريبا تاركة له بلوزتها البيضاء. لاحظ أبوها أنه يعاود النظر فى ساعته كثيرا، همس له بأنه يمكنه الانصراف، ويكفى مسارعته بالمجيء فور علمه بالخبر. أصر على البقاء حتى ينفض العزاء، وبرر له النظر فى الساعة بأنها تم إصلاحها اليوم ويريد الاطمئنان على أنها تعمل. هز الرجل رأسه وهو ينظر إلى الأرض. غطى يحيى الساعة بكفه وفكر فى وضعها داخل جيبه.

ذهب إلى بيتها أربع مرات ليدرس لها الرياضيات ثم اعتذر عن

الاستمرار لالتحاقه بعمل جديد. رشحه لأسرتها أحد الجيران الذى علم أن يحيى خالى شغل بعد تسريحه من مصنع البلاستيك الذى كان يعمل محاسبا فيه، نصحه الجار بالاستفادة من مهارته فى الرياضيات، وافقه يحيى لينهى الحوار معه، لكنه فوجئ به وقد اتفق مع أسرة رنا وصارحه بأن ابنته ستحضر الدرس وحادفع بس تكرمنا بقى وقبل أن يبدأ أول درس صارحه والد رنا - أيضا- بعدم قدرته على دفع الكثير، ويثق فى أن يحيى ليس كبقية المدرسين، والطالبتان ستكونان "فاتحة خير إن شاء الله كرر هذه الجملة فى المرة الثانية فظن يحيى أنه سيخبره بانضمام طالبة جديدة للدرس لكنه قالها تشجيعا له. عرف من رنا عدم احتياجها لمدرس خاص، والدها يريد الاطمئنان عليها، وفهم أن البنت الأخرى عبء ولا أمل فى فهمها الشرح من أول مرة، وعندما تدخلت رنا لتفهمها إحدى التدريبات بطريقة أسهل من التى شرحها، وثق من أنها ستدرس لهما هما الاثنان لو لم ينتبه ، وضايقه أكثر نبرة صوتها الموحية بأنهما ندان يساهمان معا فى الوصول بالدرس إلى بر الأمان. تذكر هذا عندما زارته ووجدها تحثه على مسايرة إيقاعها وهو يحسب ألف حساب لما سيحدث لو طاوعها، شدته إليها بقوة، استجاب للحظات لكن عقله فى الوقت المناسب انتشله منها، وضربت بيديها السرير كأنها تريد صفعه.

ياه أطلقتها رنا ما إن انتهى الدرس، وفهم يحيى مباشرة أنها صيحة الارتياح من حمل ثقيل. نظر لها

- أصل التمرين الأخير كان صعب أوى

لم يستغرق منها سوى دقائق، وظلت تتململ فى مكانها أثناء تعثر

زميلتها فى الإجابة عليه. كانت هذه المرة الأولى وفكر فى أن تكون الأخيرة. أقنع نفسه بقدرته على أن يحيل تلك الـ ياه إلى صيحة إعجاب المرة التالية، وسيعد لها تدريبات تعجزها وترغمها على أن تسأله المساعدة، ولا يحسب حسابا للطالبة الثانية التى استعار منها كتاب الرياضيات بعد أن نزلا

- لكن أنا عايزه الكتاب عشان أعمل واجب المدرسة منه.

- حارجعه بكره

ونزع الكتاب من بين يديها وسلم عليها ومضى. فكر فى إعادته إليها بعد أن استصغر هذا الصراع بينه وبين رنا، فبقدر ما سيثبت إليها أنه مدرس بجد وليس خالى شغل فإنه فى نفس الوقت سيشعر كم أن معاركه صغيرة وما يحققه فيها من انتصارات ليست سوى الحد الأدنى المفروض تحقيقه، أكمل سيره والتفت ناحية الطالبة فوجدها عائدة إلى بيت رنا، تأكد من أنها ستستعير الكتاب منها بعد أن تشرح لها السبب. لم يلحق بها بعد ما لمح رنا تطل عليهما من البلكونه.

حينما قالت له بعدين ولم تأخذ معها البلوزة، ظن أنها كلمة تفتح باب مواعيد قادمة، وتشجعه على الاتصال بها ليطلب لقاءها دون إهدار الوقت فى مقدمات طويلة، الآن يجدها كلمة تشبه كلمات أبيه حينما كان يتشبث يحيى وهو صغير بشراء شىء بعدين. مش دلوقتى. بكرة. فيتشبث أكثر لمعرفته أن الكلمات تعنى أشياء كثيرة: تأجيل الشراء أو عدم الشراء أو حسب الظروف أو من الأفضل أن ينسى ويحاول طلب

شيء آخر.

كان يوم زيارتها أول إجازة يحصل عليها يحيى من عمله الجديد. بعد شهور أثبت فيها لعبد المجيد صاحب المكتب قدرته على تحمل أعباء العمل. كل ما أراده في هذا اليوم أن ينام براحته، ولا يتصل به عبد المجيد ليسأله عن المتبقي من بضاعة ما في المخزن. استيقظ الساعة العاشرة تقريبا وظل يتقلب في سريره محاولا العودة للنوم، وسعيدا بأن غدا الجمعة مما يعني يومين بدون عمل، بدون إجهاد نفسه في تذكر أرقام وحسابات وتواريخ وأسماء مندوبي المبيعات. منذ التحاقه بهذا العمل وذاكرته تفاجئه بقدرتها على حفظ كل ما يخص المندوبين: المنطقة التي يوزع فيها كل مندوب والبضائع التي معه، وقيمة ما وزعه هذا الشهر والشهر الماضي على الأقل، ومدى نجاح كل منهم في توقعاته عن رواج صنف معين. في البداية ظن ذاكرته ستكون نقطة ضعفه، وسرعان ما وجدها تمده بما يريده في أي وقت، وتفسح مكانا لأسماء المندوبين الثلاثية وتجعله ينطق بها بسرعة من يريد تحطيم أرقام قياسية.

أشياء موجودة ومعروفة لكنه الأسرع في تذكرها.هذه الصفة يبني عليها يحيي وجوده في هذا المكتب. إجاباته على أسئلة عبد المجيد بأقصى سرعة ودون الحاجة للعودة إلى الأوراق كانت أهم مؤهلاته في الحفاظ على عمله، ويقيس نجاحه في أن تكون المسافة بين الإجابة والسؤال لا تذكر، ما إن يسأله عبد المجيد وهو يتكلم في التليفون مع

أحد العملاء عن المتبقى من بضاعة أو موعد وصول كمية ما حتى يسارع يحيى بالإجابة، وكلما كانت أسرع ابتعد مسافة أكبر عن كل الموجودين فى المكتب. فى بداية عمله عندما كان ينبه المندوبين أحيانا لانخفاض معدل التوزيع، كانوا يحرصون على تذكيره بالكم الذى وزعوه وقيمته كما اعتادوا مع المحاسب الذي سبقه، وفى كل مرة كان يقاطعهم و يفاجئهم بمعرفته الأرقام بالضبط، وتدريجيا تخلوا عن تذكيره بأى شيء واكتفوا بـ زى ما انت عارف

الأستاذ زى ما انت عارف راح، الأستاذ زى ما انت عارف جه لم يطلق أحد عليه هذا اللقب، لكنه من كثرة ما سمع هذه الجملة منهم شعر كأنها اسمه الجديد. فى مرة خطه على ورقة بأكملها وهو سرحان، وظل يضغط بالقلم على الكلمات المكتوبة حتى انفصلت حروف عن الورقة كأنها قصت بمهارة، سعد بالحروف التى خرجت مكتملة وكره - أيضا مطاردة الجملة له حتى فى سرحانه.

يمتلك المكتب عربتين نص نقل بسائقين ومندوبين، أما بقية المندوبين فهم مشاة كما يصفهم عبد المجيد، ورغم كثرة عددهم فإنه يترك الباب مفتوحا لانضمام المزيد إليهم خاصة لو كانوا من طرف أى مندوب يعمل معه ، لكن الجميع وقعوا على وصولات أمانة غير محددة القيمة ولا التاريخ تحسبا من أى غدر محتمل.

- إيه أخبار المشاة؟

فيعطيه يحيى تقريرا سريعا بحركة التوزيع، ويعرفه بأصناف البضائع الرائجة هذه الأيام، وفى أثناء ذلك يظل عبد المجيد محدقا فى

خريطة القاهرة الكبرى المعلقة على الحائط خلفه، ويحرك عليها المؤشر الذى يخرجه من طرف قلم.

– لازم نزود المندوبين هنا وهنا... وسط البلد وهو يدق عليها بالمؤشر مش جايب همه الأيام دى، نسحب كام مندوب ونوديهم شبرا الخيمة ويدق عليها بقوة

لم يكن يحيى يعرف عن تاريخه العسكرى سوى أنه كان متطوعا فى الجيش وخرج إلى المعاش برتبة عقيد، واستثمر مكافأة نهاية الخدمة فى إنشاء هذا المكتب. ومع استمرار دقاته على الخريطة يسمع يحيى جلبة معدات عسكرية تتزايد فى الخارج فى انتظار صدور قرارات القائد. أول مرة رأى فيها عبد المجيد أحس بأنه يشبه شخصا ما عرفه من قبل. لم يتذكر هذا الشخص وإن ظل اسمه على طرف لسانه يكاد أن ينطق به. وكانت الرغبة فى التذكر تزيد كلما دق عبد المجيد على الخريطة. ما العلاقة بين الأمرين؟ لا يعرف. حاول تذكر مدرسيه فى المدارس التى التحق بها. لا أحد منهم يشبهه، تذكر مدرس الجغرافيا فى المدرسة الإعدادية، كان يرسم الخرائط بالطباشير على السبورة. خطوط متداخلة لا تبين عن شىء محدد، ويظل يشير إليها هنا وجنب دى. جنوب ده على طول ويصل بين منطقتين بخطوط جديدة حتى تبدو الخريطة كتلة بيضاء يسرح فيها الطلاب بينما المدرس مندفع فى الشرح، ويصمت وهلة يبلع ريقه أو يتنفس نفسا عميقا ثم يندفع مرة أخرى، فهو من المدرسين المؤمنين بأن من يريد الفهم سيفهم مهما

كانت سرعة كلامه أو تداخل خطوطه. ويكتم الطلاب الضحك وهو يردد واضح. بالظبط زى مانتو شايفين وفى مرة انفلت ضحكهم عندما التفت المدرس إلى كتلته البيضاء وهو مستمر فى الشرح وفجأة سأل هيه فين؟ لم يكن السؤال إلا لنفسه، وأشار إلى الجنوب، وتنقل فيه بأصابعه المبيضة من الطباشير، كأن المنطقة التى تاهت منه قررت التنقل مع أصابعه فى كل مكان تذهب إليه.

وهو فى المكتب يتخيل أحيانا ذاكرته مصنعا يعمل فيه آلاف العمال، ولا يكفون عن الجرى والوثب والرجوع للخلف والتقدم للأمام والصراخ والضحك، وعند شعوره بالصداع يغمض عينيه ثوانى آمرا عمال ذاكرته بالكف عن الحركة، و يصرفهم بغضب فى نهاية اليوم وقد يركلهم ويقذف ببعضهم من نافذة الميكروباص، ومن يتبقى منهم يتظاهر بأنه لا يسمعهم، ويركز فى أى شىء يراه أثناء عودته إلى البيت ليبتعد قليلا عن ذاكرته.

ظل يتقلب فى السرير محاولا النوم مرة أخرى فليس هذا ما تخيله، على الأقل توقع أن يظل نائما حتى العصر والأفضل حتى المغرب، وينتقم من كل الأيام التى انتزعته من سريره الساعة السادسة صباحا، وتمادى فى تخيل أمه وأصدقائه وأقاربه يحكون عن نومه أكثر من تمنتاشر ساعة متواصلة رغم رنين التليفون وجرس الباب و...

ويحكون له بعد استيقاظه كيف حدثت أشياء مهمة وهو نائم ويظل يردد مش معقول مبديا انزعاجه وفى نفس الوقت سعيدا بمواصلته النوم

رغم كل شىء.

عند فتحه الباب لرنا لم يفسح الطريق لتدخل .المفاجأة جعلته يظن أنها ستخبره بشيء وستمضى أو أنها أخطأت العنوان. لم تتكلم، ابتسمت وهي تنظر في عينيه. تفضلى مشيرا بيديه إلى الداخل ومتوقعا جلوسها في الصالة. دخلت غرفته مباشرة. لم يدخل وراءها، ذهب ليغسل وجهه بسرعة، وأجاب على سؤال أمه في المطبخ:

- طالبة كنت باديها درس.

- كويس

فهم كلمتها على أنها تشجيعها المعتاد ليعمل عملا إضافيا ويستطيع الادخار للزواج.

قرر الرفض لو عرضت رنا عليه أى درس خاص، فيكفيه تعب العمل في مكتب عبد المجيد. دخل عليها متسما بسمات الأستاذ الوقور رغم ارتدائه البيجاما، وخرجت أهلا وسهلا قوية كأنه يقولها في بداية درس لطلاب متحفزين ضده.

- تحبى تشربى إيه؟

اتجهت نحو الباب وأغلقته بالمفتاح

- مش وقته

بسخرية جعلت يحيي يظن أنه تكلم آكثر من اللازم.

بعد خروج رنا ومكالمة صديقه أحمد عاد يحيى إلى ألف طريقة

وطريقة لتحفيز نفسك الكتاب الذى يرافقه منذ وقت طويل، ليس فقط بسبب أنه ألف طريقة بل لقراره تنفيذ إحدى هذه الطرق التى أكد الكاتب على أهميتها: لا تسرع فى قراءة ما يفيدك . لم تكن أول مرة يقرأ هذه النصيحة. كثيرة الكتب التى قرأها عن تنمية النفس أو تطويرها أو تحفيزها، لكن عندما خاطبه الكاتب لا تسرع ذكر أيضا أن هناك ناسا – ومنهم يحيى – قرأوا الكثير من الكتب حتى صاروا مثل آلة تسعد بالتهام أكبر عدد من طرق التحفيز، ويكتفون بأن يعدوا أنفسهم بتنفيذها فى الوقت المناسب، ويكررون وعدهم مع كل كتاب. ونصح الكاتب كل منهم بتخيل أيام حياته وقد صارت فى يد محاسب – وهذا ما أسعد يحيى – والمحاسب لن يمنحك يوما جديدا إلا بعد إنجاز شيء الآن وكلما أجلت تنفيذ هذا الشيء فإن المحاسب سيغلق بابه فى وجهك، وستظل جامدا فى مكانك مثل شخص لا يريد استعادة حياته التى سلبت منه.

ما إن يقول الكاتب أنت حتى يجد يحيى نفسه داخل الكتاب مؤكدا أن هذا ما يحدث له ويكاد يسمع صوت تصفيقه لبراعة الكاتب فى الكشف عن مشاكله، ويزداد تصفيقه مع أمثلة الكاتب حتى لو كانت مستحيلة فبطل كل مثال هو أنت وقد تخيلت هذا المثال من قبل، ولم تخبر به أحدا، وحرصت على إخفائه داخلك، فصرت مثل شخص لم يجد مكانا آمنا يخفى فيه مفتاحه السحرى فابتلعه، ومضى عارفا أن الكنز داخله لكن يجهل الطريق إليه

قبل معرفته بموتها، رأى زيارتها المفاجئة – وما ستليها من زيارات

- أتت فى الوقت المناسب. فمنذ انقطاع علاقته مع زميلته فى العمل السابق ضرب الجفاف أيامه، ومع استغراقه فى الشغل الجديد وجد نفسه مربوطا فى عجلة كبيرة لا تكف عن الدوران. حاول استعادة علاقته مع زميلته لكنها كانت قد حسمت الموقف، فلم يكن يحيى قد حدد أى توقيت لخطبتها أثناء عمله بالشركة، وزواجهما صار مستحيلا بعدما تم تسريحه.

- إمتى حييجى الوقت المناسب؟

وقبل أن يجيبها ، فاجأته بإجابة ظنها منبعثة من نشرة الأخبار

- فرق التوقيت بينا كبير أوى

وأنهت آخر مكالمة بينهما.

الوقت المناسب تحتل الكلمتان مساحة كبيرة فى حياة يحيى، وتبدوان أنهما تخصان حياة أخرى لم يبدأها بعد. كانت الكلمتان تخرجان منه بسرعة عندما يتعلق الأمر بتحديد وقت ما، خاصة لو أصر عليه الطرف الآخر فى العلاقة، لكنهما كانتا إجابته أيضا عندما تلح عليه أمه أن يزور أقرباءه، لم يكن يكرههم لكنه ما إن يدخل بيت أحدهم حتى يجد نفسه يريد الخروج سريعا، يسيطر عليه خمول غريب، وغالبا ما يتثاءب ويرغب فى أن يمدد جسده وينام. وهذا ما حدث بالفعل أكثر من مرة، فبعد انتهائه من السلامات والاطمئنان على صحة أمه ونصحه بالانتباه لصحتها كانت رؤوس الجميع تتوجه لمشاهدة المسلسل، فتبدأ رأس يحيى فى التمايل إلى الأمام والوراء وعلى الجنب، ويأتيه أكثر من صوت خش نام جوه فيقرر الخروج.

لكن ظهور رنا فى الوقت المناسب طمأنه على أنه لا يردد الكلمتين

عبثا، وعليه فعل كل ما يطيل عمر هذه العلاقة التى سقطت بين يديه دون مشقة. اتصل بها فى نفس اليوم ليلا ليقترح عليها مقابلته غدا الجمعة، وهيأ نفسه ليقنعها ويعثر لها على طريقة لمقابلته لو كان والدها يمنعها من الخروج. وما إن عرف بغرقها حتى صارت المكالمة:

– إمتى؟

– حوالى عشرة الصبح

– إمتى؟

– عشرة الصبح

– مش بعد واحدة يعنى؟

– أفندم؟

– إمتى بالظبط؟

– العزا بكرة بعد المغرب

انتظر ساعة. اتصل مرة أخرى. اعتذر عن اتصاله متأخرا لكنه يريد التأكد من خبر وفاة رنا

– صحيح

– الساعة اتنين ؟

– لا. عشرة تقريبا

تذكر جملة زميلته فرق التوقيت بينا كبير أوى لكنه هذه المرة لم يكن هو المسؤول عنه بل كان يحاول أن يفهمه ويعرف كيف حدث. فى مرة اتصلت به زميلته من تليفون كافيتريا وسألته لماذا لم يأت. أكد لها

أن الموعد غدا لأ النهارده. وانت اللى محدد الميعاد كرر تأكيده وكان صادقا هذه المرة، وراح أسبوعا كاملا يصالحها ويحاول إقناعها بصدقه وهو يؤكد لنفسه أن ما حدث يمثل الفرق بينهما: هى تريد الأشياء مبكرة جدا وهو يرى موعدها لم يأت. أما مع رنا وبينما يمنع نفسه بصعوبة من الاتصال مرة ثالثة فلم يعرف مدى فرق التوقيت بينهما.

لماذا زارته رنا ؟ كان السؤال سيبدو هينا لو استمر فى الدرس الخاص إلى النهاية. أربع حصص وانتهى الأمر، ولم يكن لوجوده ضرورة من الأساس إلا بسبب قلق الأب على ابنته، ورغبته فى عدم الشعور يوما من الأيام بعجزه عن توفير مدرس خصوصى. ولم يكن بيته قريبا لا من بيتها ولا من الجامعة ولا المعدية حتى يقتنع أن قرب المسافة شجعها على زيارته. ويصير السؤال أكثر إلحاحا لأنها زارته بعد الموت أو أثناء بحثهم عن جثتها والمفترض أنها تزور القريبين منها الذين تجمعهم بها ذكريات لا تنسى، و يمثل افتقاد وجودهم أقسى معانى الموت، ويحيى ليس منهم بأية حال من الأحوال، حتى لو فتش فى كل ساعات الدروس على أمل أن يجد ما جذبها إليه فلن يعثر على شىء إلا إذا اعتبر إحساسها بأنها ند له فى الدرس سببا يرجعها إليه بعد موتها الموتى لا يفكرون بطريقته وبالتالى أسبابهم مختلفة عما يفكر فيه وقد يرون ما لا يراه، حتى لوساير هذا الكلام فسيظل السؤال عن سبب اختياره قائما. وقد لا يجد إجابة عليه بقية عمره،

ربما يخفف مرور الوقت من حدة انشغاله بالسؤال لكنه لن يقدر على محوه تماما من حياته. بالطبع كان يراهن على أن يبصر الإجابة فجأة في يوم من الأيام، ويخبط جبينه لغفلته عن الإجابة التي كانت متاحة أمامه، ويحسب كم من الوقت مر قبل أن يصل إليها: شهر. سنة. سنتين....

ظل يكور البلوزة بين كفيه، وأحيانا يفردها أمامه رافعا يديه إلى أعلى أو يرمي بها على السرير. لا يتوقع أن تكشف شيئا ولا أن تتحول إلى أي شيء. يحاول التخفيف من حيرته، وفي نفس الوقت يتابع إن كانت ستستجيب لكل ما يفعله بها كأية بلوزة أخرى أم ستبدي رد فعل غير متوقع. أمس ارتداها، وأثناء محاولته إدخال رأسه فيها وقد لفته عتمة أراد أن يظل في هذا الوضع: رأسه تجاهد في الخروج وتتحرك يمنة ويسرى وتستريح قليلا لتعاود المحاولة. هو من اقترح عليها استبدال قميصه بالبلوزة، ولا يعرف إن كانت تنوي فعل هذا أم شجعها اقتراحه، وهل كانت منتبهة للقطع بطول الظهر وتعاملت معه على أنه لا يفرق كثيرا أم كان هو أول من عرفها بوجوده؟

فكر في التخلص من البلوزة، ووضع حد للأمر كله. استمرار وجودها بقدر ما يؤكد له ما حدث لا يقنع أي شخص آخر بأنها زارته بعد موتها، باستثناء أمها وأبيها اللذين سيتعرفان عليها وأنها كانت ترتديها في يوم غرقها، لكن من يقدر على الذهاب إليهما حاملا هذا الدليل ويحكي لهما، وفي النهاية أيضا لن يفهماه لماذا اختارته. كان تفكير يحيى ينطلق بنية الوصول إلى معان عميقة في زيارة رنا ورغم

محاولاته الدؤوبة لا يخرج من تأملاته بما يرضيه، وتظل المسافة كبيرة جدا بينه وبين ما يجب فهمه من هذه الحكاية. وبدا العمق الذى يتوصل إليه من هذه التأملات أشبه بصدى الصوت لا يرجع سوى ما يعرفه.

سمع من قبل أشخاصا يرددون أن شيئا ما: لقاء، صدفة، كلمة عابرة، قرارا، كان نقطة تحول فى حياتهم صاروا بعدها أقدر على فهم الدنيا. وكان يحيى يرى كلامهم مبالغات يحاولون بكل الطرق إعادتها إلى أرض الواقع ليقتنع المستمعون بها، فحياة الناس من حوله لا تتيح سوى توهم نقاط تحول، وكل شخص يحاول على قدر استطاعته تصويرها لنفسه و للآخرين على أنها بالفعل أحدثت الكثير.

صارح نفسه بأن هذه الزيارة لو حدثت لهؤلاء الأشخاص لاستطاعوا التعامل معها بسهولة، خاصة لو كانوا يؤمنون بالمعجزات سواء أثرت فى حياتهم أم لا، أما يحيى فيرحب بالمعجزات بشرط أن تتضح فى حياته لا أن يضمرها ويواصل العيش كما اعتاد. وحتى لو ارتضى بإخفاء ما حدث داخله فيسظل ضيقه من أنها مجرد زيارة استغرقت أقل من ساعة، ولم تترك له تفاصيل كثيرة ليعيد ويزيد فى تأملها وينشغل بها تعويضا عن عدم قدرته على أن يحكى لأحد.

زيارة مثل ظل سيلازمه، قد يلمحه وينشغل به أحيانا وقد ينساه تماما فى أحيان أخرى. أشبه ببطانة الجاكت الذى يرتديه، لا تلفت انتباه أحد لكنها موجودة متوارية. نبهه مندوب مرة إلى أن البطانة تهدلت وظهرت من طرف الجاكت السفلى. ونصحه بشدها من أعلى بخياطة جديدة، والأفضل فصلها تماما وقص الزيادة منها لتكون

بالضبط على مقاس الجاكت. تكفلت أمه بالأمر وشدت الجزء الذى تهدل وخاطته فى البطانة نفسها، ونصحته بألا يدخل ذراعه بقوة عند ارتدائه الجاكت حتى لا تتقطع الخياطة من جديد.

لماذا لا يتصل بالرقم الذى قالته رنا؟ علق القرار على أول جملة يسمعها عند فتحه التليفزيون   استأنف الجانبان المباحثات   رنين متواصل. ثم صوت رجل يطلب ترك رسالة. بهذه الطريقة كان يحسم الكثير من الأمور. ما يتردد فيه يتركه رهن الصدفة. جرب مرة أخرى.

– ما فيش حد بالاسم ده

مش رقم خمسة سبعة....

– أيوه

لا يظن أنها أخطأت فى رقم صديقتها التى نصحته باللجوء إليها فى وقت الضرورة. التفكير فى احتمال خطئها سيدفعه إلى التفكير أنها زارته عن طريق الخطأ، ولم تكتشف هذا إلا بعد فتحه الباب، وتذكرت أنه كان مدرسها فقررت توديعه قبل الرحيل، وتشعره بأنه كان غاليا عندها. اتصل مرة أخرى   اترك رسالة. ياريت الأستاذة ناهد تكلمنى للضرورة   بصوت لا يبدو فيه التردد وواضح فيه الغضب من تأخر ناهد فى الرد عليه ودفعه للتفكير فى أن هناك الخطأ.

قلق من أول يوم له فى العمل بعد الزيارة، أن يشطب أرقاما غير صحيحة كتبها وهو سرحان، أن يطلب ممن يتحدث معه إعادة ما قاله، ألا يتذكر البضائع الموجودة فى المخزن فيظن ما نفد منها موجودا والموجود نفد. أن تغيم فى عينيه الأرقام ولا يراها إلا كسحابة تغطى الأوراق وتتحرك معه أينما نظر، وكلما فرك عينيه ليزيلها تظل موجودة، ويضطر إلى الحديث مع الآخرين وقد غطتهم ولا يحاول التحرك نحوهم خوفا من التعثر فى الكراسى أو فيهم لكن اليوم مر بسلام، حتى تحديقه فى حوائط غرفته استطاع السيطرة عليه، فقد بدا يحيى للواقف أمامه أنه كعادته يجمع ويطرح ويضرب أعدادا فى بعضها أو يتذكر البضائع الموجودة فى المخزن، و يساعده تحديقه فى الحائط على التركيز فى العملية الحسابية التى يجريها فى ذهنه ويتخيلها على الحائط، وحتى لا يبدو التحديق شرودا أو لا مبالاة بعمله، كان ينطق بالأرقام ثم يتمتم بها حتى تصير همهمة تصاحب تحديقه. ولا يختلف الأمر سواء كان فى غرفته أحد أم لا، فأى واحد يستطيع كشفه من خلال الفاصل الزجاجى الذى يكشف عن العمال وهم يسلمون المندوبين البضائع. وعندما يطول تحديقه وهو بمفرده كان يلتفت إلى الخارج، ويتظاهر بأنه يدقق النظر فى شىء ثم يخرج من غرفته ليسأل أحد العاملين عما يسلمه وكم عدده. وأسعفته ذاكرته عندما تصادف خروجه مع مرور عبد المجيد فأعاد على العامل عدد ما يسلمه، وربت المدير على كتفه ومضى.

لن يستطيع طلب يوم إجازة آخر، فالإجازة السابقة وافق عليها عبد

المجيد بصعوبة مشددا على ألا تتكرر. ولماذا يريد إجازة؟ استيقاظه صباحا الساعة السادسة، وخروجه إلى الشغل وركوبه الميكروباص، وصباح الخير صباح النور لكل من يقابله فى المكتب، ومراجعة البيانات مع المندوبين: البضاعة المستلمة والمباعة، واستدعاء عبد المجيد له واطمئنانه على حركة الشغل. هذا كله الجدول المعتاد كل يوم، حتى قلقه من تأخر فتح إشارة المرور والنظر إلى الساعة خوفا من أن تسرع فى غفلة منه ويصل متأخرا عن موعده. هذا ما كان يحدث قبل رنا وحدث اليوم. ورغم سعادته بان المحيطين به لم يشتكوا من تغيرات مفاجئة فى سلوكياته لكنه يرغب فى أن يكون حذرا، من أى شىء مادام يومه يمضى كما يجب؟، وهو غير معتاد على أن يكون حذره مستثارا فى كل وقت. حذره ينشط عندما يقع فى المشكلة ، ولحظتها يصير الحذر منتهى المفعول، مجرد جثة تذكره بما كان يجب عليه فعله.

أمس يوم الجمعة قضاه تقريبا فى الاستحمام، وحتى لا يلفت انتباه أمه لكثرة مرات استحمامه كان يطيل المرة الواحدة على قدر استطاعته، ويخرج وجسده محمر تحت ملابسه من شدة وطول دعكه. تذكر صديقته التى أطلق عليها   من تانى   كانت تحب أن تسأله عن رأيه بالتفصيل بعدما ينامان معا، وتستمتع باستعادة ما حدث بالحديث عنه. سألته وهما مازالا ممددين على السرير ألا يحب أن يستحم الآن؟ وافق على أن يستحما معا وهم بالنهوض، فافهمته ضاحكة أنها تسأل فقط، فأجابها برغبته الاحتفاظ برائحتها أطول فترة ممكنة. كانت رائحة أجسادهن العالقة بجسده تثيره، وتجعله يمضى يومه سعيدا

ومتدفقا فى الكلام، وفى النهاية يستحم وهو يستعيد ملامح وجوههن وكلماتهن والأوضاع التى فضلنها. لم يتوقع أن يأتى يوم يتمنى فيه أن يمحو الماء المتساقط على جسده كل تفاصيل العلاقة وذكرياته عنها. ولو أمكن لترك الماء يتسرب داخله ليطارد أي اثر لرنا توارى فى مكان بعيد.

صعب الحصول على إجازة أخرى وليس أمامه سوى التمسك بجدوله المعتاد كل يوم وعدم التحديق طويلا فى حوائط مكتبه.

- ماتت
- كويس

وأوضح له أحمد أن وجودها كان سيتسبب فى مشاكل كثيرة، وكان سينشغل بمعالجة آثار ما تفعله أكثر من فعل شيء معها. لم يصحح له يحيي ما فهمه، وأنه يقصد ماتت بالفعل وليس انتهاء الحكاية وتراجعه عن مواصلة العلاقة معها، فقد كان مترددا بين أن يحكى لصديقه أو يظل على اقتناعه بعدم ضرورة الحكى.

- المهم انك تكون مت بالنسبة لها
- مش عارف
- هيه دى المشكلة

لم يفهم يحيي الجملة الأخيرة فلم يمر عليهما هما الاثنان أية واحدة سببت مشكلة لأنهما أنهيا علاقة معها، ووجد كلام أحمد عن التى تثأر لكرامتها بعدما رفضها من تحبه من قبيل التمنى وليس خبرة

مر بها فعلا. أكد أحمد على تخوفه بذكر ما حدث معه فى الجامعة، حينما قطع علاقة مع طالبة وصفها بـ بكاء على وزن اسمها صفاء التى كانت دموعها تنزل لأهون سبب وفى أى مكان حتى وجد أحمد أنه يواسيها ويصالحها أكثر مما يحبها، وظلت تدفع كل الأصدقاء المشتركين ليعرفوا منه سبب إنهائه العلاقة، على الرغم من أنه أفهمها السبب فى أخر لقاء بينهما أنا مش الشخص اللى يناسبك والأنسب لها إنسان مرهف الحس لا يخذل ما تتمناه منه فى كل موقف، وكلما أضاف صفة لمن يناسبها كانت تؤكد انت كده فلم يجد سوى دى قسمة ونصيب وعلى مدار السنة الدراسية عانى من نظراتها المستفهمة ومنعه أى شخص يفتح معه موضوعها مرة أخرى. إصغاء يحيى دفع أحمد إلى إكمال الحكاية التى رواها مرات كثيرة فى مواقف مختلفة، مع إطالته للجزء المناسب لكل موقف، ولا يعنى هذا أنه لا يملك سواها لكنها أكثر حكاية يكررها وأسرع شىء تلبى به ذاكرته احتياجاته. ولم تغضبه فى أية مرة سخرية يحيى ويشاركه فيها أحيانا وقد يقول إنه ما حكاها إلا ليضحكا.

– الحكاية دى حصلت فعلا ؟

ظن أحمد أنها بداية السخرية، لكن يحيى كرر سؤاله، فأعاد أحمد تنبيه صاحبه إلى أن المهم موته بالنسبة لرنا، فهى مختلفة عن صفاء فى أنها لا تتردد ولا تنتظر كثيرا ولا توسط أحدا بينهما، فمجيئها دون موعد ولا حتى تمهيد دليل على أنها تذهب إلى ما تريد مباشرة. وممكن أن تفاجى يحيى بأفعال لا يتوقعها مثل زيارتها له فى عمله لمعاتبه

بصوت عال أمام الناس، ولن يستطيع طردها فلن تتوقف عن الصراخ وقد تختلق أى شيء ضده لتحكيه لمن تجمعوا أمام باب غرفته.

بينما أحمد منطلق فى الكلام عن رنا تذكر يحيى طريقة المندوبين فى الحديث مع الزبائن فى المقاهى. يمد المندوب يده بالبضائع التى يوزعها ساعات، أقلام، كرافتات ويندفع فى توضيح مزاياها وأن أسعارها أقل من المحلات ومعها هدية أيضا وده عرض بيقدمه مكتبنا لفترة محدودة قد يشير الزبون بالرفض لكن المندوب يحاول أن يكمل كلامه مخرجا فى نفس الوقت بضاعة جديدة من حقيبته، ولو لمح أن عين الزبون مازالت تنظر إلى يده يبدأ فى إخراج أشكال مختلفة من البضاعة التى يتوقع أن الزبون يفكر فيها، ولا يتوقف عن الكلام إلا مع دى بكام؟ أو سعرها كام من الأخر؟ لحظتها يحاول المندوب ألا ينقطع الحوار سريعا ويجعل نبرات صوته توحى بأنه سيستسلم لرغبة الزبون. قال يحيى لأحمد مرة إنه كان يمكنه العمل مندوب مبيعات لسرعة تكيفه مع أى موقف. فأخبره أحمد بأنه كان سيعمل مندوبا وهو فى الكلية لكن أمه رفضت ووعدته بزيادة مصروفه سرا من وراء أبيه بس باين طريقة المندوبين فى دمى مشيرا إلى اندفاعه فى الكلام وعدم توقفه إلا بعد رجحان كفته أو اكتشافه سذاجة رأيه. فترات الصمت فى أية جلسة تقلقه وتشعره بأنه مكشوف أمام الجالسين وتدفعه إلى التفكير فى الانصراف ما فيش مندوب حيتحرك بين الزباين وهو ساكت إلا إذا كان أخرس

منذ التحاق يحيى بمكتب عبد المجيد وأحمد يكثر من ذكر المندوبين كأمثلة، ويرى أنه ستأتى لحظة سيعمل فيها الجميع مندوبى مبيعات وساعتها ما فيش حد حيبطل كلام، ومش حيبقى فى وقت للسكات .

رغم ثقته من قسوة التشبيه رأى يحيى رنا باختلاسها ساعات من الموت قبل العثور على جثتها كانت كمندوب يحاول التخلص من حمولته التى تكاسل فى توزيعها قبل انكشاف أمره وطرده من عمله.

ليس هناك سبب محدد لزيارته أحمد. أنهى عمله فى المكتب وقرر ألا يرجع إلى البيت مباشرة. عندما نطق بـ ماتت كان على وشك أن يحكي لصديقه كل شيء. لن يستطيع تحمل رنا بمفرده. وأى شخص لا يستطيع حكاية ما عاشه ويعيشه مع رغبته فى هذا سيصل فى النهاية مع تراكم الحكايات داخله إلى أن يحكيها دفعة واحدة دون فواصل ولا ترتيب ، ستفور منه وحتى فى هذه الحالة لن يجد من يسمعه لا لشيء سوى أن الحكايات ستنقض على بعضها بعضا فى محاولة كل منها أن تكون فى البداية.

– طب تعمل إيه؟

ودون انتظار إجابة يحيى، أكمل أحمد بضرورة معاملة رنا بذكاء لو زارته ثانية فى أى مكان أو كلمته فى التليفون، ويقنعها بوجود أسباب قوية لقطعه العلاقة ليست هى بالتأكيد من ضمنها.

وجد يحيى مسار الكلام بينهما أفضل مما لو عرف أحمد بموت رنا، فهو يراها الآن ليست فقط على قيد الحياة بل يرى ما فعلته بعد موتها على أنه جزء من شخصيتها. وينتظر أن تفعل شيئا فى الأيام القادمة. ومتى سيصارحه يحيى بالحقيقة؟ لا يعرف. ولا يريد التفكير فى هذا يكفيه أنه يتحدث معه عن رنا. لكن حديثهما بعيد عما حدث. وهل يستطيع أحمد التعامل مع الزيارة لو عرف أنها بعد موتها؟. بالكثير كان سيستمع ليحيى ثم ينصحه لازم ترتاح شويه. باين الشغل مع

عبد المجيد متعب وإذا كانت هناك فائدة لحوارهما الآن فهي أن يصير هناك شيء ما يحدث في هذه الحكاية بدلا من أن يظل بمفرده مع أسئلة بلا إجابات.

لا يستطيع الاكتفاء بهز رأسه ليواصل صديقه الكلام، سيبدو كأنه لا يعنيه كل ما يقال ولا يرغب في المشاركة فيه. هم يحيي بتذكر ما حدث في الزيارة فقاطعه أحمد

– ده مش مهم، فكر معايا في اللي جي.

– حاعمل بنصيحتك

وسيتعامل مع رنا لو ظهرت بحذر، ويصغي لها جيدا ويحثها على التكلم كثيرا. وافقه أحمد فالإصغاء سيشعرها بأهمية ما تقوله، ويمهد الطريق لتقتنع بعدم قدرته على الاستمرار في العلاقة.

أبدى أحمد رغبته في رؤية رنا لو ظهرت مرة أخرى، والأفضل لو رآها دون أن تكون على علم بقدومه، ولا تعرف عنه أشياء كثيرة سوى أنه صديق يحيي. ونصحه بألا يتدخل كثيرا في الحوار ويدعه يتصرف، فلابد أن تتكلم هي دون الاستناد على يحيي ليكمل كلامها أو يسعفها بجملة.

– المهم انت موافق أشوفها

– طبعا

قالها بسرعة ليستمر أحمد في الكلام عن اللقاء الذي اقترحه، وكيف سيديره ليصل إلى رؤية واضحة عن رنا.

اعتاد على ضيق الشقة ولم يشكُ منه يوما، لكنه وهو يفكر في تغيير

غرفته وجد الشقة ليست ضيقة فقط بل لا تسمح بأى تغيير، كأن توزيع الغرف ليس من اختيار أصحابها بل الأساس الذى بنيت عليه، وسينهار المكان إذا تغير شيء فيه. رفضت أمه استبدال يحيى غرفة الجلوس بغرفته. لابد أن تظل الشقة كما كانت فى حياة أبيه، فلن تتحمل تغييرا يحدث فى غيابه بعدما عاشا معا كل التغييرات التى طرأت على حياتهما.

ظلت أمه حزينة بعد وفاته لأنه لا يأتيها فى المنام وخافت من أن يكون السبب غضبه منها. حاول يحيى أن يطمئنها، فلا يمكن أن تكون أغضبته وظل أبوه يكرر وهو فى المستشفى قبل رحيله أنه أتعبها كثيرا. وحينما زارها أول مرة استيقظت سعيدة وفسرت الحلم على أنه دعوة لها لتحج بالنيابة عن أبيه. طلب يحيى من أمه ألا تعيد فرش الملاءة التى كانت على سريره يوم الزيارة. لم تسأله أمه عن السبب انشغلت بتذكر كيف كان أبوه فى سنواته الأخيرة يرفض ارتداء جلباب لوجود بقعة فيه. تفتش أمه عن هذه البقعة فى كل الجلباب ولا تجدها، فيزداد غضب أبيه ويصيح بأنه مازال قادرا على النظر والتفرقة بين جلباب متسخ وآخر نظيف. وتضطر أمه لغسله ثانية ولا تنشره إلا بعد أن يتأكد أبوه بنفسه من اختفاء البقعة. فردت أمه الملاءة أمامها تبحث عن أى اتساخ فيها، فطمأنها يحيى على نظافتها لكنه لم يعد يحب النوم عليها.

أراد أبوه فى آخر حياته تغيير باب الشقة، استولى عليه هاجس سهولة فتحه إن دفعه أحد من الخارج، وبعد معرفته أن الباب الجديد بالمواصفات التى يريدها سيكلفه الكثير قرر تغيير كالون الشقة بآخر

يدور فيه المفتاح سبع مرات، وكان يسمع صوت أبيه وهو يعدها بينما يغلقه قبل النوم. لم يقتصر الأمر على الباب، كان ينفض عنه غطاء السرير ويسرع نحو البوتاجاز ليطمئن على إغلاق مفاتيحه ويؤكد حينما تنظر له أمه أنه مازال يشم رائحة الغاز، ويسألها هل هي آتية من الخارج، ولا يعود إلى النوم إلا بعد اقتناعه بأنها لا تشم شيئا، وتحذيره من إزعاج الجيران.

كان ميالا لهجر غرفته وفي نفس الوقت لا يريد تضخيم آثار زيارة رنا، والهروب من موقع لقائه بها، بالإضافة إلى أنه لن يترك الشقة بل سينتقل من غرفة إلى أخرى تجاورها، وستظل أمامه غرفة نومه القديمة تستخف بهذا التغيير، وتذكره بأنه غير المكان دون تغيير أثاثه الذى كان شاهدا على اللقاء. صار التغيير مثل رغبات تلازمه رغم علمه أنها لن تتحقق أو للدقة أكثر رغبات موجودة لتنبهه أن ما يفعله ينقصه شيء دائما.

لو ظل موضوع رنا قاصرا عليه لحاول إقناع نفسه بوجود خطأ في التوقيت، لكن ظهور ناهد في حياته بعد يومين من الزيارة أكد صحة كل شيء.

ما إن قالت له في بداية المكالمة إنها صديقة رنا التي زارته قبل موتها حتى اندفع يصحح كلامها

بعد موتها مش قبله

لحظتها صاحت انت عارف لم تكن تتخيل أن المكالمة ستكون بهذه السهولة. وظنت أنها ستحتاج لمقدمات كثيرة. أما سبب انتظارها

يومين قبل الاتصال به فهو تفكيرها فى أن ما قالته رنا يجب أن يظل سرا لا يعرفه سواها، ثم وجدته سرا ليس كبقية الأسرار التى نعرفها ونثق فى أن الكشف عنها سيجد آذانا صاغية ومتجاوبة، فلن يصدق سرها أحد، وستصرف جهدها فى إقناع الآخرين بحدوثه فعلا. لذلك قررت الاتصال بيحيى الذى يشاركها السر بل وسيكمله لها. أخبرها باتصاله بها وتركه رسالة. راجعت معه رقم التليفون. كان تليفون شقتها القديمة التى رحلت عنها أسرتها منذ شهور. واتصلت بها رنا فى الرقم الجديد كثيرا.

- كويس انك سبت رسالة فى الأنسرماشين

وبينت له ضرورة أن يفعلا ما يجب عليهما حتى يفهما الحكاية.

لم يجد ما يضيفه إلى كلامها، حكت لها رنا كل شىء حدث بينهما حتى قلقه من أن تطرق أمه باب غرفته، وحرصت ناهد على ذكر كل التفاصيل التى تعرفها لتتخفف من حمل ثقيل عانت وحدها منه. استثارته طريقة حكيها إلى درجة تظاهره بعدم تذكر شىء لتعيد حكيه مرة أخرى، وتمنى لو كانت الحكاية عن أحد مازال حيا لينزاح عن المكالمة غمة رثاء رنا التى خطفها الموت مبكرا.

اتفقا على موعد يلتقيان فيه، وشجعته على الاتصال بها فى أى وقت إذا عرف أو تذكر شيئا جديدا عن رنا.

حكاية لم يسع إليها ولم يفكر فيها أصلا، وبدلا من انتهائها عند حد الزيارة وجدها تتسع وتتشعب بما يحدث كل يوم وتفرض عليه أن يتتبع خطواتها خطوة خطوة.

تخيل لو كانت الأحداث غمرته دافعة واحدة بلا تمهل ولا انتظار ولم

تتح له أى وقت ليفهم كل جزء على حدة، لو كانت مثل حلم يلهث فيه يحيى ويتحمل ما لا يقدر عليه لكنه فى النهاية يستيقظ ويسند رأسه إلى حافة السرير مستعيدا ما رآه دون قلق. أما هنا فالوقت متاح بين خطوة وأخرى، وكل حدث يختبر مدى رد فعله ليظهر له الحدث التالى. كأن الحكاية تفطم يحيى قبل أن تغمره بكل قوتها.

سألها مرة أخرى عما كانت ترتديه رنا فأكدت له ارتداءها قميص ابيض كان واسع عليها جدا وأخرجت من جيبه هذه الورقة وقرأتها بصوت عال. أعطت ناهد الورقة إلى يحيى. كتبت فيها أمه قائمة بطلبات ليشتريها وهو عائد إلى البيت ربع كيلو جبنه اسطنبولى، ربع زيتون اسود، برطمان صلصه، كيس مكرونه، كيس ملح

- قريتها بصوت عالى؟

- أيوه، وضحكت

نظر إلى الورقة الواضح فيها آثار طيها أكثر من طية وتعرجات قطعها من الأجندة. قرأ ما فيها كأنه يقرأ رسالة آتية أو عائدة إليه من الموت. بقاؤها فى الجيب يعنى عدم شراء ما فيها، فعادته تمزيق ورقة الطلبات ما إن يخرجها عند البائع ويقرأها سريعا. ولماذا ضحكت رنا؟ هل لأن آخر ما قرأته قبل أن تعود إلى موتها كان مجرد قائمة بطلبات منزلية أم لأنها أثناء قراءتها كانت ترى قلقه وهو معها أم كان ضحكها من شىء آخر حدث فى مكان آخر

لم تقل له ناهد عن هذه الورقة فى التليفون كنت عايزة أخليها

مفاجأة ظن يحيي أنها قالت كل شيء وأوحى طول المكالمة له بهذا، سألها إن كانت هناك مفاجآت أخرى لأ. الدور عليك كل هذه الكلمات مفاجأة. الدور عليك   يجدها أبعد ما تكون عن رنا وتخص حكاية أخرى تحدث كل يوم.

اعتادت أمه كتابة تلك الأوراق لأبيه بعد أن وجدته يشترى أشياء غير التى طلبتها، ولا يعترف أبدا بنسيانه، فأصبحت الورقة الحكم بينهما. وبعد موته صارت تكتبها ليحيي رغم تكراره لعدم حاجته لها إلا أنها كانت تصر ممكن تنسى

يستطيع يحيى النظر فى هذه الورقة دون قلق من مرور الوقت، فليس هناك حد يمكن أن يكتفى عنده، وأى حد إذا كانت تجاوزت كل الحدود.

طلب من أمه عدسة أبيه المكبرة. لم تسأله عن السبب وكررت ما تقوله دائما الحاجات كلها ليك فى النهاية وكانت تقصد أساسا كل ما فى الصندوق الخشبى الصغير: مسبحة، سلسلة ساعة جيب، جراب نظارة من العاج. أشياء اكتسبت أهمية فجأة فى سنوات أبيه الأخيرة. من قبل كانت متناثرة في أماكن عديدة ويكتفى أبوه عندما تقع أحدها فى يده صدفة بترديد ياه لسه موجودة ثم جمعها فى هذا الصندوق وبدأ ينسج حولها حكايات عديدة، ويكرر تنبيهه ألا يعبث بها أحد رغم عدم وجود سوى يحيى وأمه فى البيت واللذين لا يخطر فى بال أى منهما الانشغال بهذه الأشياء.

قرب يحيي العدسة وأبعدها أكثر من مرة، وظلت الكلمات من خلالها

غائمة لا يبدو منها سوى تموجات من السواد. لم تكن كلمة تموجات عبثا، فقد فكر يحيى فى أن كلمات الورقة تماهت مع غرق رنا. نقل العدسة إلى جريدة على المكتب، إلى صفحة كتاب، التموجات نفسها ولا تبين الكلمات من خلالها. شاهد أباه يستخدمها كثيرا فى آخر حياته خاصة فى قراءة الجرائد، وكان يقرأ بها بصوت عال لأمه ما أعجبه فى الجريدة. دققت أمه النظر فى الجريدة من خلال العدسة لتتأكد من كلام يحيى، وكررت تلميعها بطرف جلبابها مرات.

– باين لازم تروح لمحل نضارات

وعندما أحست بغرابة ما قالته، نهضت لتضعها فى الصندوق

– سيبها لى دلوقتى وانا حتصرف

لم يشأ إطالة الحوار معها. توقع أن تقول أمه كنت عارفة انه مش شايف بيها وأنها لم تكن راغبة فى مضايقته فى أخر أيامه، فقد اعتادت على نصح يحيى دوما ألا يتوقف طويلا عند ما يقوله أو يفعله أبوه، وفى أحيان كثيرة كانت النصيحة بدون سبب كأنها ترددها لنفسها.

وضع الورقة تحت زجاج مكتبه. لم يرغب فى إخفائها مثلما يخفى البلوزة. لن تلفت انتباه أحد. مجرد ورقة مكتوب فيها المطلوب شراؤه. فكر فى وضعها داخل محفظته إلا أنه خشى من لحظة إفراغه محتويات المحفظة بحثا عن عنوان أو رقم تليفون، هذه اللحظة غالبا ما يكون ضحاياها القصاصات الصغيرة التى قد تتناثر بعيدا عنه أو يرمى بها

غير عابئ باحتياجه لها بعد ذلك. هنا أفضل مكان لها. مكان آمن الأشياء فيه لا تضيع ولا يتم التخلص منها. لم يكن ما تحت زجاج المكتب فى مستوى واحد فهناك مواضع تراكبت فيها الأشياء فوق بعضها ولا تظهر إلا أطرافها التى لا تبين عن كل محتوياتها. أكمل يحيى إدخال الورقة تحت الزجاج. وفكر فى أنه مادام لم يستطع تعليقها على الحائط فإنها هنا بدت مثل توقيع الفنان الذى شغل سطح المكتب بكروت وقصاصات وصور.

قالت له ناهد إنها قبل إعادة الورقة له أرتها لعدد من أصحابها، لم يروا فيها أى شىء غريب واكتفوا بالتنكيت عليها

- وكنت مستنيه يشوفوا إيه؟

افتكرت أنا بس اللى شايفاها

ورقة وبلورة شاهدان على ما حدث ثم ماذا؟ لا شىء. شاهدان مثل طفلين يؤكدان رؤيتهما لمخلوق غريب وينظر الجميع نحو المكان الذى يشيران إليه ولا يجدون شيئا سوى الطفلين وكلامهما.

فكر فى شد يديها وإدخالها غرفته بسرعة لم يتوقع دخول ناهد المتباطئ وعناقها الحار لأمه، والسؤال عن صحتها وكان نفسى أشوفك من زمان، والشقة أجمل مما اتوصفت لى ظل قرب غرفته ينتظر انتهاء ناهد من فاصل السلامات والأشواق. تخيل بيته صار معبرا للموتى فى رحلتهم إلى النهاية، وسيخصص رفا فى دلاوبه لملابس الموتى ويحرص على آلا تختلط باى ملابس أخرى. ما إن دخلت

ناهد الغرفة حتى قال لها ما تخيله، وأمنيته أن تكون القطعة التى سبتأتيه فى المستقبل بنطلون حتى تناسب البلوزة. منذ أول مكالمة بينهما لاحظ أن ناهد لا تسبب له أى عبء، لا تحتاج إلى أن يطيل الشرح. كانت تختصر له الطريق دائما لكنه كان حائرا بين هل هذه طبيعتها أم نتيجة لـ رنا

وهى تقف فى وسط الغرفة بشعر كأنها تتأمل أثرا من الآثار وتضاهى بين ما سمعته عنه وما تراه.

- بالظبط زى ما وصفت لى رنا

وراحت تسمى كل شىء وهى تشير إليه بإصبعها المكتب، الدولاب، الكليم،السرير أشياء مستقرة منذ سنوات صارت تطمئن كلما ورد اسمها على لسان ناهد، كأنها كانت تخاف من أن تنسى أو يحل مكانها شىء آخر.

لم تقل رنا لناهد أى شىء عن الكتب المتراصة فوق بعضها: كيف تحقق النجاح. كيف تكون سعيدا. تخلص من القلق. وألف طريقة وطريقة. وغيرها من العناوين التى تقدم حلولا لكل المشكلات فى أقصر وقت ممكن. وصفت لناهد كل الأشياء وأماكنها وتجاهلت كتبا تضم وصفات مضمونة للنجاح فى الحياة. اقتربت رنا من هذه الكتب قبل خروجها من غرفته. وتوقع يحيى أن تستعير واحدا وكان سيقترح عليها كتاب "كيف تعيش الحب" ويذكر لها كيف قرأه مرات وتعلم منه الكثير مشيرا إلى صفحات تصف لحظات الحب الرائعة. وقلق يحيى من اختيارها كتابا لم يقرأه بعد، فلم يكن سيرفض طلبا لها فى زيارتها

الأولى، وسيظل مادام الكتاب معها يفكر فى أنه فرط فى طرق لتحفيز النفس كانت بين يديه. تضايق يحيى وقتها من التفكير فى هذا وهو مقبل على علاقة تعد بالكثير وازداد ضيقه عندما أحس بأن هذه الطرق معشوقته السرية التى يفضلها عن أية واحدة أخرى. وعندما خرجت رنا دون أخذ أى كتاب شعر بالراحة لأنها أبعدته عن المفاضلة بينها وبين كتاب لم يقرأه.

ظلت ناهد تحدق فى البلوزة وحكت له أنها كانت مع رنا أثناء شرائها وهى التى اختارت هذا اللون. فى لمح البصر خلعت ناهد الجاكت الجينز الذى كانت ترتديه، ونفر ثديها الشمال من السوتيان، وظل أمام يحيى بحلمته البارزة التى تناثر حولها نمش بنى بينما ناهد تدخل ذراعيها فى البلوزة. همست:

- براحة لتنقطع

أبطات حركتها وأعادت ببطء أيضا ثديها إلى مكانه. كانت البلوزة ضيقة عليها. تحرك يحيى نحوها وعدل الياقة ثم أحاط وجهها بكفيه. حدق فى عينيها. أغمضتهما.

- شايفاك مع رنا

والتفتت نحو مرآة الدولاب ويداه معلقتان برقبتها. من لحظة كاد أن يقبلها، والآن كمن لم يعرف ماذا يفعل بيديه فتركهما تتعلقان بأى شىء. اقتربت من المرآة ومسحتها بمنديل. من الخلف كشف القطع فى البلوزة عن ظهرها ومشبك السوتيان. ظل صوتها هامسا وظن مع استمراره أنها ستبوح له بسر. قرب وجهه ناحية فمها.

- فيه مراية تانية؟

فتح ضلفة الدولاب. واشتكت أيضا من المرآة الداخلية فمسحها يحيي بأحد قمصانه وتلفتت ناهد بحثا عن واحدة أخرى.

حدثتها رنا عن مرآة كانت موجودة على الحائط تواجه مرآة الدولاب، واستطاعت رؤية نفسها من الأمام والخلف وتمنت لو ظلت تنظر فيها لكن ما كانش فيه وقت كل الكلمات التى تنقلها ناهد عن رنا تجعل يحيي يشعر بأنها ستظهر لهما وتحييهما وتعتذر لهما عن تأخرها بسبب صعوبة المواصلات. ولا كلمة يجدها تشي بأنها ميتة تتجول بين الأحياء. كلمات تقال كل يوم، ويسمعها من أى شخص، ولا يتعب الإنسان فى تذكرها فهى تخطر فى البال تلقائيا، وإن تميزت بشيء فهو صعوبة أن تنسى فمستحيل نسيان ما كانش فيه وقت ولا يتبقى سوى تفسيرها كما يريد كل واحد.

نفى يحيي وجود مرآة كانت معلقة على الحائط فلم يغير أى شيء فى غرفته منذ أن زارته رنا

- مراية؟

قالها كما لو كان يحاول التذكر. وهمست بها ناهد مرة أخرى وهى تشير إلى مكانها.

فى يوم حكت له زميلته فى الشركة حلما ظلت تسمع فيه صوتا يسألها "انتى بتعملى كده ليه؟" وهى لا تفهم ماذا يقصد الصوت بالضبط ولا يجيب على سؤالها "كده إيه؟" وانشغلت عن السؤال عندما انتبهت أن غرفتها فى الحلم أكبر من غرفتها الحقيقية، وراحت تبحث عن اختلافات أخرى بينهما والصوت يلاحقها، واستيقظت فى نفس

اللحظة التى اكتشفت فيها اختلافا ثانيا دون أن تتبينه. لم يكن لدى يحيى أى تفسير، فلم يفسر حلما من قبل. ومن لا يتذكر أحلامه يصير وهو يستمع لأحلام الآخرين كشخص فى بلد غريب، لا يعرف لغته فقط بل لا يصدق أنه موجود أصلا وسينمحى أى ذكر للبلد وناسه ما إن يغادره. قال يحيى وقد غير نبرة صوته كمن سيقول حكمة لزميلته:

- السؤال فى الحلم حاجة تانيه

وفكر فى شىء يكمل به جملته. لكنها كررتها كأنها تفسير الحلم، وكررها هو بثقة من فهم الحلم، وعرف أن تغيير نبرات الصوت قد يساعد على تفسير الأحلام.

فى الأيام الأولى كان معدل الرسائل مرتفعا جدا، وكادت ناهد أن تجعل من كل شىء يحدث فى يومها رسالة من رنا، فوقوع صورة معلقة على حائط فى بيتها يماثل رؤيتها شخصا كادت سيارة أن تصدمه، وكانت الرسالة الوحيدة التى توصلت إليها فى حضور يحيى عندما انسكب فنجان قهوتها وهى تجلس معه "رنا عايزه تقول حاجة ومش قادرة" وانتظر يحيى أن تفسر عدم قدرة رنا على القول بسبب وجوده لكن ناهد اكتفت بتكرار الرسالة.

كانت تهتم بوصف الأحداث التى تراها رسائل أكثر من فهم معانيها كأنها ساعى بريد يقدر على معرفة من أرسل الرسالة وإلى من دون معرفة ما بداخلها، ويسرع من حركته لتوزيع كل ما معه حتى يشغل يومه بأشياء أخرى.

حكت له مرة عن وقوع حقيبتها وهى جالسة مع صديقاتها فتذكرت حينما وقعت حقيبة رنا وتناثرت منها قصاصات ورق صغيرة ، وطيّر الهواء بعضها وأسرعت صديقاتها لجمعها، وعلا ضحكهن باكتشاف أنها القصاصات التى كن يكتبنها لرنا أثناء المحاضرات ويمررنها إليها خلسة ومكتوبا فيها تعليقا على المحاضرة أو تذكيرا بشيء "إيه الملل ده. هو بيضحك ليه؟ مش ده قاله قبل كده. حاكلمك فى حاجة مهمة بعد المحاضرة... ودون أن تجيب رنا على سؤالهن "انتى بتجمعيها ليه؟" تناولت القصاصات من أيديهن مبتسمة ووضعتها فى الحقيبة.

لم تكن ناهد تنتظر ظهور رنا مرة أخرى، وهذا أقوى شيء تتشابه فيه مع يحيى، فالاثنان اقتنعا بأن زيارتها تحققت لوجود فاصل زمنى بين غرقها والعثور على جثتها. معجزة توقفت مفعولها بمجرد تلاشى هذا الفاصل. وأكدت ناهد هذا الاحتمال بتذكرها أنها حاولت إبقاء رنا معها فترة أطول لكنها تعجلت الانصراف مرددة بعدين وبحسابات ناهد فهى آخر إنسانة رأتها رنا "لغاية ما تظهر حاجة تانيه

لم يكن مرور الوقت يصيب ناهد باليأس. تثق أن الحكاية لم تنته وأن هناك أجزاء أخرى ستظهر. كانت تنتظر ظهور شخص أو أشخاص زارتهم رنا بعد موتها، وتتمنى ألا يظهروا معا فى الوقت نفسه بل فى أوقات متباعدة حتى يدلى كل منهم بما يسره دون أن يزاحمه أحد فى الاهتمام، وتستطيع هى ويحيى استجوابه براحتهما لأنه سيكون وقتها الوحيد الذى ظهر لهما ولا أمل فى ظهور آخر. لابد أن هناك آخرين شغلوا وقت رنا من الساعة العاشرة حتى زارتك

الساعة واحدة" ليس معقولا أنها كانت تفكر كل هذا الوقت فيمن تزوره. الموتى يفعلون ما يفكرون فيه مباشرة، وهى بالتأكيد كانت تسابق الزمن قبل العثور على جثتها، ومع كل شخص زارته كانت تسجل نقطة لصالحها ضد الموت، وتشكر فى سرها الغواصين فى سرها الذين لم يصلوا بعد إلى جثتها. "لازم تعمل زيى" ويسأل كل من يتوقع أن تكون رنا قد زارته فربما يعثر على شخص لم تترك له رنا أية وسيلة للاتصال بهما، سيكون "أفضل منا" لأنه ظل فترة أطول بدون أن يشاركه أحد، ولم يكن أمامه سوى نفسه يشاطرها سره ويتحاور معها ويراكم ما يتوصل إليه من أفكار ستفيض عنه بمجرد ظهورنا له

ظن أصدقاء ناهد فى الجامعة أن أسئلتها الكثيرة عن آخر مرة قابلوا فيها رنا سببها شدة حزنها واحتياجها التكلم عنها مع أى شخص. وكانت تكرر أسئلتها على الأشخاص أنفسهم أكثر من مرة، "ليه؟" ممكن جدا شخص منهم يظن أنه من الأفضل دفن السر فى نفسه ولا يحكيه لأحد.

دفن ما حدث الشىء الوحيد الذى يثق يحيى فى أنه القاسم المشترك بينه وبين كل من تصيبهم زيارة مثل هذه. كل واحد سيدفن سره داخله ويحاول الاستمرار فى الحياة. ويعيدون عملية الدفن كلما انبعث السر وشغل تفكيرهم. وتدريجيا يكتسبون مهارات فى الدفن يطيلون التحدث عنها لكل صديق يشكو من صعوبة نسيان ذكرى ما ويصير حديثهم عن الدفن مرادفا لعدم قدرتهم على التحدث عن سرهم.

تكرر ناهد ما حكته من قبل. فكل ما يخص رنا حتى لو كان واضحا صار غامضا، يخفى أشياء ربما لم تنتبه إليها عندما حكتها فى المرة الأولى أو الثانية أو الثالثة. وتستخدم خلي بالك كثيرا وتبطئ من إيقاع حكيها دون إضافة جديد وتؤكد ليحيى أنها لا تحب تكرار ما حكته لكنها تكرر ما لا يقدران على تفسيره ولا حتى حكايته لأحد غيرهما. والسبب الأخير كانت تكرره كثيرا أسفا على عدم وجود غيرهما فى الحكاية، وكأنه تعويذة ترددها لتستحضر بها آخرين. وحتى لا يتركها يحيى مع التكرار بمفردها كان يبدى الحماس بين حين وآخر، ويسألها أن تعيد حكاية جزء موضحا رغبته فى التأكد من تفصيلة ما. وعندما تكرر الجزء الخاص بيحيى ورنا كانت تكثر من الاستفهام بـ مظبوط كده؟ وهى تذكر له أن وجود أمه لم يساعده على التركيز، وكانت أهون صوت يجعله يلتفت نحو الباب، وفهمت رنا رغبته في تأجيل لقائمها إلي يوم آخر فحثته بعينيها على أن يستمرا، وضغطت بكلتا يديها على ظهره حتى شعرت كأنها تقيده فوقها.

- مظبوط كده؟

- شويه.

وفى اللحظة التى كادا آن يصلا فيها معا نزع نفسه وهو ينظر إلى الباب قائلا:

- مش حينفع المرة دى

فضربت رنا السرير بقوة راغبة فى تحطيم كل ما فى الغرفة والشقة والدنيا كلها.

وفى مرة من المرات التى آثارته فيها ناهد بحكيها اندفع يعانقها وهما جالسان، استجابت له ثم وجد يدها تربت على ظهره

- عارفة كويس إيه شعورك دلوقتى

وانفلتت من حضنه مكررة أنها لو علمت بأصل الحكاية بينما رنا جالسة معها فى غرفة الطالبات لكانت سألتها أكثر وفهمت منها أكثر.

لاحظ وهى تتكلم فى الموبايل مع صديقة أو صديق أنها تستعيد طريقتها فى الكلام وتكون إجاباتها مختصرة متعجلة وتتداخل كلماتها وهى تضحك. ويسألها يحيى إيه أخبار الجامعة؟ محاولا فتح الباب إلى كلام بعيد عن رنا فتجيبه بكلمة أو كلمتين ع الماشى وتعود إلى حديثهما الذى انقطع بالمكالمة. حكى لها مرة كيف كان يومه فى الشغل وأن بضاعة سرقت من أحد المندوبين وكيف أقنع يحيى المدير بعد تعب بتقسيط ثمنها خاصة أن المندوب مشهود له بسرعة التوزيع. ظلت تصغى له وظن أنه استطاع استدراجها بعيدا عن رنا إلا أنها ظلت تنظر له بعد انتهائه، وفهم أنها تنتظر الخيط الذى سيستخلصه مما حكاه ويمده إلى حكايتهما. فصمت معتمدا على أنهما كثيرا ما توقفا فجأة عما يقولانه لأنه مازال لغزا لم يفهماه.

كانت رنا تعشق معرفة ما حدث بالتفصيل. وإذا حكت صديقة لها باختصار تظل رنا تلاحقها بأسئلتها حتى تستخرج منها ما يمكن معرفته. تمادت ناهد فى وصف الطرق التى كنت تتقصى بها رنا عن بقية التفاصيل، وكانت أصعب مرحلة حينما يفتر حماس إحدى الفتيات

فى إكمال ما حدث، وتظل تكرر أن الحكاية انتهت، لكن رنا لا تصدق وتتقصى بقية الأحداث عند صديقات أخريات لكنهن لا يعرفن شيئا، وتمر أيام تراقب فيها رنا حالة صديقتها حتى تقتنص لحظة تكون فيه راغبة فى الحكى، فتحصل على تفاصيل أخرى وتسأل بس كده فتؤكد صديقتها بس كده متفقة مع رنا على أن الموضوع ينقصه شيء لكن هذا ما حدث فى النهاية.

ظلت رنا تتابع تطورات خلاف بين ناهد وأبيها حول موعد رجوعها إلى البيت، كانت ناهد تحتاج لمن تفضفض معها وتصغى لها لكن رنا ظلت أياما متتالية تتساءل عما جد، وعندما تخبرها ناهد بعدم حدوث شيء تبدأ فى تذكيرها مش قال إنه حيفتح الموضوع تانى فى وجود أخوكى؟ وحينفذ قراره وحييجى فجأة الجامعة ولا لأ؟ و لسه رافض يسألك عن الحاجات لما ينسى مكانها؟ كانت مأخوذة بالسؤال منتظرة سماع سر لسه ما ظهرش قالتها ناهد بنبرة ساخرة سرعان ما تخلت عنها، واستعاد صوتها حياديته.

طالبات كثيرات مازلن يتذكرنها بـ إيه اللى حصل؟ ويفتقدن دأبها على متابعة الحكايات وتبالغ بعضهن فيؤكدن أسبوع. أسبوعين. تلاته وهى بتحاول تعرف اللى جرى ولا يقتصر الأمر على إطالة مدة التقصى بل يبالغن فى الطرق التى كانت تستخدمها رنا، وانتظارها حكاية جديدة لتحاول العثور على أية صلة لتسأل هو إيه اللى حصل فى الموضوع اللى فات؟ رغم عدم وجود علاقة تربط بين الحكايتين. وعندما ينفجر ضحكهن يسرعن بترديد افتقادهن لها.

وأحيانا عندما تقول واحدة "إيه اللى حصل؟ "تجيبها زميلتها" الله يرحمها" إلى حد تظن معه أن هذا السؤال ما تبقى من رنا فقط.

لم تكن رنا تستخدم كل هذه التفاصيل لتحكيها مرة أخرى، قليلة الكلام ويكاد ما كانت تقوله أشبه بمن تقذف الكرة من بين يديها بسرعة حتى تستمر الأخريات فى اللعب، وعندما تجدهن مازلن ينظرن إليها، تهز رأسها إشارة إلى انتظارها رأيهن فيما قالته، وتسرع ناهد عندما تكون موجودة لتوضح ما تقصده رنا حتى تبعدها عن سخريتهن.

لم تتوقف ناهد طويلا عند سبب هذا التقصى فى حياة رنا، لكنها وهى تحكى ليحيى بررته بشعور رنا أنها لن تعيش طويلا. واحتاجت إلى إطالة حياتها القصيرة من خلال معرفتها بما حدث للآخرين. وظلت تصغى للتفاصيل، ولم تفعل شيئا إلا بعد غرقها، وكل ما فعلته رغم عاديته إلا أنه صار ضمن وقائع موتها لا حياتها، ولن يقدر من زارتهم على إثبات حدوثه.

تفسيرات ناهد لأى شىء يخص رنا تتصف بقطف أول ما يخطر فى بالها، ترغب فى ملء الفراغات بأقصى سرعة لعل وعسى يساعدها هذا على فهم ما حدث.

تخيل يحيى لو كانت رنا مكانه، كانت ستظل تجمع تفاصيل عنه كأنها تريد إعطاءه فرصة أخرى للحياة، كانت ستدقق فى كل القصاصات والأوراق والكروت والصور التى تحت زجاج مكتبه، وتعيد ترتيبها وتسأل عما تجهله، وتحاول قراءة كلمات خطها بسرعة قد

يصعب عليه الآن أن يقرأها، وتتمنى لو كان موجودا لتتنبهه لشىء غفل عنه فى تلك الأشياء

كانت ناهد تظن أن هناك جوانب أخرى لما تحكيه عن رنا بنفس أهمية شغفها بمعرفة التفاصيل، مثل أنها كانت وحيدة والديها مما تسبب فى خوفهما الشديد عليها وفى نفس الوقت عدم ضيق رنا من هذا، وحرضتها صديقاتها على التمرد قليلا وأن تفطم والديها بتذكيرهما أنها كبرت. حرضنها دون أمل فقد وضعنها منذ البداية فى طائفة الطالبات الشغيلة اللائى يوفرن لهن المحاضرات المكتوبة بدقة بينما يقضين هن أوقاتهن كما يردن. وناهد واحدة ممن يعتمدن على الشغيلة لكنها كانت ترى أن رنا حاجة تانيه وأحس يحيى بالجملة الأخيرة كأنها تؤكد اختلاف ناهد عن مثيلاتها وليس اختلاف رنا.

لم تكن أول مرة تتكرر فيها عن طريق الخطأ صفحة فى كتاب اشتراه. خاصة فى تلك الكتب التى تهدف إلى تحفيز النفس. فغالبا ما تتكرر فيها الصفحات وعندما يجد يحيى كتابا منها دون صفحات مكررة يحس بأنه نسخة غير مكتملة. وصار يرى الشىء المكرر فيها رسالة وقعت فى يده صدفة وعليه قراءتها رغم معرفته بمحتواه، وكلما تخيل أن الكثير من القراء لن يفعلوا مثله بل سيتجاوزوا التكرار ويعتبروه مجرد خطأ يتمسك أكثر برؤيته أن التكرار رسالة واضحة للجميع لكن يندر من يراها. بعد عشرة أيام من زيارة رنا عثر على الصفحة المكررة فى كتاب ألف طريقة وطريقة، ولم يحس بالقلق من أنه

قد لا يجد صلة بينها وبين حالته الآن. فمادامت قد تكررت فهذا يعنى شيئا ما مرسلا إليه وتوقيت استلامه لحظة اكتشافه التكرار. أعاد يحيى القراءة:

كما تعرف عندما لا نستطيع حكاية ما حدث لنا، نلجأ إلى طريقة مضمونة، نحكيها على أنها حدثت لصديق نثق فى صدقه، ومن الأفضل اختيار صديق لا يعرفه من يستمعون لنا، فنضمن ألا يتهمونا بالكذب ولا يشككوا فيما نحكيه. وإذا سأل أحدهم عنه بعد ذلك نجعله مسافرا وانقطعت أخباره عنا. وإذا وجدنا أسئلتهم تحاصرنا، فلنعلن موت هذا الصديق، تاركا حكايته سره معنا. بالطبع نتضايق من أننا أمتنا الصديق الذى هو - فى الأساس - نحن وقد اختفينا داخله. لكن موته يمنحك الفرصة لتحكى براحتك، وتتحرر من كل ما يثقل عليك. كما أن موت الصديق يجعلك المسؤول الوحيد عن حكايته. وأنه صار أمانة بين يديك.

خط يحيى خطوطا تحت كلمات لا نستطيع. صديق. موت. اختفينا داخله كأنه يصل بالخطوط بين حكايته والفقرة التى قرأها. وبدلا من كتابة تعليق قد لا يعرف كيف ينهيه أو يعجز عن العثور على الكلمات المناسبة، وجد كل خط خلاصة ما يريد قوله، ويشبه الخط الذى يمده قبل أن يكتب تحته نتيجة عملية حسابية.

تذكر الترزى الذى كان يفصل عنده أبوه بنطلوناته وبدله. رآه يحيى وهو صغير يخط بالمارك الأبيض خطوطا تشكل ياقة الجاكتة، ثم أعاد تحديدها مرة أخرى بحيث صار شكلا الياقة متداخلين على القماش .

– وممكن نضيقها من هنا شويه

وخط خطا كأنه يزحزح قليلا حد الشكل الثانى

– أنا شايف دى أحسن

لم يستطع أبوه أن يرى من بين الخطوط المتناسلة من بعضها أية الياقات أفضل، فمسح الترزى ما خطه ورسم الشكل الذى يفضله. فقال أبوه:

– الشكل اللى قبله كان كويس

لم يفهم الترزى ما الذى يقصده فاضطر للرسم الأشكال متجاورة.

– دى

قالها يحيى وكفه الصغيرة تصل بالكاد إلى الترابيزة وتشير إلى فراغ بين شكلين، اختار أبوه واحدا منهما، بينما الترزى حمل يحيى على ذراعه حيث اتضحت فى عينيه كل الأشكال وأعجبته الخطوط البيضاء على القماش الأسود وسأله الترزى دى ولا دى؟ فصمت يحيى مفاجأة من السؤال ومن نظراتهما المتجهة إليه. وقبل أن يجيب أنزله الترزى على الأرض ليكمل اتفاقه مع أبيه. فشد يحيى أثناء نزوله القماش غاضبا. وصاح فيه أبوه بالانتظار خارج المحل. وثق يحيى من أنه سيعاقب وسيحرم من الخروج من البيت أياما بالإضافة إلى تعنيفه طول الطريق. ظل أبوه يمشى صامتا وممسكا بكف ابنه. أحس يحيى بوجود شىء بين كفه وكف أبيه. تأكد أنه ليس نقودا ولا منديلا ربما زجاجة قطرة العين. وعند اقترابهما من البيت أفلت أبوه كف يحيى.

– خد. وما تشدش القماش تانى

وأعطاه المارك الذى كان الترزى يخط به. فنظر يحيى إلى أبيه

منتظرا أن يشـرح له لماذا جلب له المارك الذى لم يطلبـه ولم يشـد القماش بسببه.

– الياقة التانية أحسن

– معاك المارك العب بيه زى ما انت عايز

رسم يحيى خطوطا متداخلة على بوابة البيت الحديدية

– شكلها زى كده

لم ينظر أبوه إلى الخطوط، صـعـد السلم وهو يعـد يحـيى بشـراء سبورة صغيرة ليرسم عليها ما يريد.

لا تعينه ناهد فى العثور على إجابة. وتلح عليه أن يستعيد بصبر وقت الدروس حتى يعثر على سبب اختيار رنا له: قد يكون كلمة عابرة قالها، نظرة متفهمة لإحساس لم تصرح بـه، لمسة من يده بدون قصد حدثت فى وقت مناسب. ظلت تعدد له أمثلة مستحيل أن يتذكرها وحتى لو تذكرها فهى فى حاجة أن تؤكدها رنا. أمثلة من نوع ما بين السطور أشياء يفعلها الشخص محتميا بأن لها معنيين أو أكثر حتى لا ينكشف مقصده.

بالتأكيد هناك فى حياة رنا من فعلوا هذا أفضل منه ، فلماذا زارته؟ مع انشغاله بالسؤال أضافت ناهد احتمال أن تكون رنا أجلت لقاءها به والتقرب منه. كانت تثق أن الوقت أمامها، وما لم تفعله اليوم ستفعله غدا، وزيارتها له تحقيق لما تمنته.

– وده سبب كافى عشان تزور ناس غيرنا.

مازالت ناهد واثقة من وجود آخرين لم يظهروا بعد، لكن ثقتها هذه المرة كانت نابعة من كثرة ما تمنته رنا ولم تقدر على فعله. ومادامت لم تستطع تحقيق أشياء تحتاج إلى وقت أطول حاولت الالتقاء بأكبر عدد بسرعة قبل العثور على جثتها.

لا يكفيه كلام ناهد. ينتظر يحيى سببا يبرر وجوده فى هذه الحكاية ويعوضه عما لم يحققه مع رنا ويعوضه عن فرحته التى توارت سريعا بأنها زارته فى الوقت المناسب. مواصفات سبب تجعله يفضل لو كانت رنا شبحا يزوره بين وقت وآخر، على الأقل كان سيضمن استمرار العلاقة معها، استمرارا يتيح لأحداث وحوارات ومفاجأت جديدة أن تحدث، وسينتظر هو دائما ما سيجد من هذا الشبح.

أحضرتها له ناهد قبل أن يطلبها. وقالت إنها آخر صورة لرنا. مسح يحيى الصورة بكفه كأنه يريد التأكد من استواء سطحها. كانت رنا واقفة مع صديقاتها فى الجامعة ولم تكن تنظر إلى الكاميرا مباشرة. أحس بيده تريد أن تضبط وجهها لتنظر إليه. كثيرا ما يفكر عندما ينظر إلى صورة أول مرة آن هناك شيئا يجب تغييره، الصورة التى التقطها له صديق ويبدو فيها يحيى مغمض العينيين كلما نظر إليها رغب فى الصياح بقوة لتنفتح العينين مذعورتين، وهناك صورة زميلته فى الشركة وقد رفعت يدها لتزيح خصلة شعر إلى أعلى مازال راغبا فى زحزحة يدها بعيدا لتبدو الخصلة وقد فرت منها، وقد تجتمع أكثر من صورة فى الشىء الذى يريد تغييره فيها مثل أن ينتهى حدها

عند العينين فقط ولا يظهر بقيه الوجه. رغبته فى تغيير شىء ما فى الصور صارت شيئا تلقائيا لديه كأن أية صورة تقع بين يديه مجرد بروفة لصورة أخرى يراها. ظلت ناهد تنظر إليه ولم تسأله عن رأيه. لأول مرة يكون صمته مبررا وغير مطالب بترديد كلمات معروفة مسبقا. دائما كانت تعليقات يحيى على الصور سريعة ومتعجلة، ويقولها مضطرا لأنه لا يمكن أن يظل صامتا وشخص يعرض عليه صورة وينتظر رأيه، وتصير المشكلة أكبر عندما يريه شخصه صورة لحبيبته أو لأحد أولاده، فى هذه الحالة يطيل يحيى تعليقه بإضافة أوى لكل صفة يقولها جميلة أوى. حلوة أوى أوى

شعر وهو ينظر لرنا بأن صمته غريب، فأمام صور من رحلوا عن الدنيا يكون طبيعيا أن يصمت من يشاهدونها حزنا أو استغراقا فى ذكريات وقد تسقط دموعهم رغما عنهم. أما هو فصمته أشبه بمن يتوقف فجأة عن المشى ناسيا إلى أين كان يذهب، وغير قادر على سؤال المارة عن وجهته، ويظل يدقق النظر فى كل شىء حوله لعله يتذكر ويستعيد طريقه مرة أخرى. ذكرت له ناهد أسماء الصديقات اللاتى يظهرن فى الصورة. وحرصت على تحديد موقع كل اسم رابع واحدة شمال رنا. التانيه على يمينها كأن إشارة إصبعها إلى صاحبة الاسم غير كافية أو لأنها قلقة من قدرة يحيى الصامت على متابعة إشاراتها. حدثها يحيى بأن الصور الجماعية تجذب انتباهه أكثر. فعلى الرغم من أن أوضاع من فى الصورة صارت ثابتة إلى الأبد لكنه ثبات مقلق فكل واحد يحاول أن يجذب الانتباه إليه وفى الوقت نفسه يبدى الترحيب

بتقاسم الصورة مع الآخرين، ويرى هذا بوضوح عندما يتخذ أحدهم وضعا غريبا ليتميز به عن الواقفين معه فى وضع انتباه أمام الكاميرا. وعندما يكثر عدد من يتخذون هذه الأوضاع الغريبة فى الصورة الواحدة - كما فعلت صديقات رنا - يجدهم يحيى فى مسابقة غير معلنة وغير معروف من يفوز بها فلن يستطيع أحد جمع آراء كل من يشاهدون الصورة على مر السنوات.

لا يملك يحيى ألبوما للصور. ولا يضعها فى مكان محدد. يكتفى بالنظر إليها حينما يتسلمها من صديق أو محل التصوير ثم بعد ذلك تستقر فى المكان المقدر لها. لا يتذكر أنه اندفع باحثا عن صورة بين الصور المتناثرة فى دولابه وفى أدراج مكتبه لرغبته فى إعادة النظر إليها أو ليتأمل وجها افتقده، لكنه كان يحرص على المطالبة بنسخته ممن التقطوا له صورا سواء كان بمفرده أو بين أصدقاء. الصور موجودة فى غرفته لان وجودها أفضل من أن يمزقها أو يرمى بها ولأنه قد يحتاجها فى وقت ما.

وهو عائد إلى بيته اشترى ألبوما كبيرا للصور. اختاره بدون تردد فقد كان واثقا من أنه سيمتلئ بالصور المتناثرة فى غرفته. وضع صورة رنا فى الصفحة الأولى ثم راح يقلب الصفحات الفارغة حتى انتهى إلى غلاف الألبوم السميك. بحث فى كل الصور حتى عثر على ثلاث صور فقط، واحدة بمفرده والثانية بين أصدقائه والثالثة وهو يتحدث مع فتاة جواره فى أتوبيس رحلات. كلها صور التقطت فى غفلة منه وبدت كل صورة لحظة سارت بمفردها نحو الكاميرا لتفاجئه بعد ذلك ببقائها وعدم ضياعها. وضعها فى الألبوم بنفس ترتيب عثوره عليها ثم نظر

إلى الصور المكومة على السرير ورآها أقل مما يريد.

يعلو صوت ناهد فجأة، فيلتفت إليها الجالسون. حماسها كان يجعلها تنسى أحيانا كل من حولها، ويكتفي يحيي بالإشارة إلى أن تخفض صوتها، وينوع تلك الإشارات حتى لا تشعر بانشغاله أكثر من اللازم بالناس في الأماكن التي يجلسان فيها. كانت الطريقة الوحيدة ليسكتها أن يتكلم أطول فترة ممكنة، ويبدو أمامها مستغرقا في الكلام ولا يسمح لها بمقاطعته.

حكى عن صديقه في الجامعة الذى كان لا يؤمن بزيارة أرواح الموتى لأقربائهم، ومع تكرار زيارة إحداها له اضطر للخروج عن صمته وتكتمه الأمر، لا ليكشف عن حدوث ما لا يؤمن به بل طلبا للمساعدة وإيجاد طريقة لصرفها، كانت روح أخته التي ماتت طفلة، وفي كل زيارة لها كانت لابد أن تكسر شيئا في البيت بسبب رغبتها في اللعب وغضبها من رفض أخيها مشاركتها. لم يكن يراها. ويعرف أنها موجودة بتحديقه فجأة في صندوق لعبها ومنعه نفسه عن إنزاله من فوق الدولاب، أعطى الصندوق لأحد أقربائه لكنها استمرت تزوره ويعلم بوجودها بتحديقه في مكان الصندوق الشاغر علامة على وجودها لا يعرف يحيي كيف تصرف صديقه، تفرقا بعد الجامعة، ولو التقاه ربما سيسأله وربما حكى له عن زيارة رنا

- ضروري

مرحبة ناهد بشخص جديد ينضم إليهما. وقبل أن تعيد كلامها عمر

تنتظرهم، حدثها عن حبه للحكايات التى كان يسمعها من أبيه و يكتمل فيها حدث بعد مرور سنوات وتتكرر فيها عبارة بعد كام سنة أحداث تظهر بشكل عابر فى البداية ثم تعاود الظهور بقوة بعد زمن وتنشط ذاكرة أبيه فى جمع أجزائها مرددا بعد كام سنة ثم ينهى الحكاية بحكمة أو بآية قرآنية وصار يختمها فى أخر أيامه بـ مين عالم بنبرة أسى توقن من أن موته الوشيك قد يمنعه من متابعة ما يطرأ على الحكاية من تغييرات. اقترحت عليه ناهد زيارة قبر رنا ثم تراجعت عن اقتراحها

- لما الحكاية تنتهى

قالتها بثقة من يعرف أن هناك ما سيحدث

لم تكن عناوين الطرق فى الكتاب تدل دائما على محتواها. عنوان طريق طويل ظنه يحيى يشير إلى الأشياء التى تحتاج وقتا طويلا حتى تتحقق، والطريق لا يطول إلا على الذين يظنون الحياة جرس بيت ندقه ليفتح لنا الباب بسرعة، وإذا ظل مغلقا تثقل علينا الدنيا. لم يتحدث الكتاب عن أى أبواب وأجراس بل تحدث عن وقوفك أمام المرآة محدقا فى وجهك. افعل هذا ما دمت ترغب فيه فقد حلت لحظة معرفة وجه من هذا. هل هو وجهك أم وجه تراه لأول مرة؟ لا تتسرع فى الإجابة. امنح نفسك الوقت اللازم. لا تهتم برنين تليفون ولا بصوت يناديك ولا بتعبك من طول الوقوف. المرآة لا تعرف معنى للوقت، ولا تستطيع استعادة شيء مر من لحظة.، تعكس - فقط - الموجود أمامها الآن. وما تحديقك فيها إلا لتعوضها عما ينقصها. وتتيح لها رؤية

الماضى والمستقبل من خلالك.

نظر يحيى إلى الموضع الذى رأت فيه رنا المرآة. لم ينتظر أن يتناول الكتاب الوقوف أمام مرآة لا يراها أحد، ولم يفكر فى وضع واحدة على الحائط لتكون الغرفة كما رأتها رنا بالضبط لا ينقصها شىء.

سرح فى أن الحائط كله ظهر المرآة المعتم، ويحتاج إلى أن يعدل وضعه ليعكس ما فى الغرفة.

– اسمها إيه؟

– هبة

ثم يسأله عبد المجيد عن أحوالها فى التوزيع ، وهل يوافقه الرأى فى أنها الأشطر. ويظل مبتسما وهو يتكلم عنها. تكرر هذا الحوار كثيرا. والسؤال عن اسمها يكون دائما البداية. قاله مرة يحيى خطفا

– إيه؟ هدى؟

– هبة

– والله هدى كان أحلى

عرف يحيى أنها الأشطر بما تحكيه له من حكايات عن زبائنها الستات وأسرارهن، وبراعتها فى تقليد طريقة كلامهن. وكيف تتصرف مع كل واحدة حتى تقنعها بالشراء. لا يستمع عبد المجيد لها وحدها. مندوبات كثيرات يحاولن منافسة هبة. ويسهبن فى حكاياتهن ويحاولن أن تكون أكثر طرافة وإثارة. وكلما علا ضحكه عرفن أنهن على الطريق الصحيح. استمرار كل واحدة فى الحكى مرتبط بحالاته، وأصعب تلك

الحالات حينما لا يريد أن يتوقفن ويصغى لهن دون تفكير فى الوقت. ويحيى من ضحايا تلك الحالة. يظل منتظرا ليعرض بيانات التوزيع فى نهاية اليوم، ويتمنى أن تتعثر من تحكى وتفشل فى جذب انتباه عبد المجيد.

- تعالى يا يحيى اسمع الحكاية دى.

دخل ليستأذن فى الانصراف فهو مضطر لـ قاطعه عبد المجيد ودعاه للجلوس.

- اسمها إيه؟

- الست فاطمة

ضحكت هبة وهى تنظر ليحيى. شرحت له أن الست فاطمة زبونة قديمة وفى كل مرة تذهب إليها تشترى منها أشياء كثيرة. وأهم شىء أن تصغى هبة لذكرياتها التى لا تنتهى عن أزواجها الثلاثة السابقين وزوجها الحالى، وغالبا ما تتداخل ذكرياتها عن الأزواج فتسأل فجأة

- اسمه إيه؟

ولابد أن تكون الإجابة صحيحة فأى خطأ يعنى

- لا مش خليل. خليل قلت لك كان...

وتعيد ما حكته قبل ذلك. ولا تفهم هبة حتى الآن هل هذه طبيعة الست فاطمة أم ثمن شرائها الكثير منها. لكنها صارت تنتبه ما إن تتداخل الذكريات، وتركز فيمن صاحب كل ذكرى من الأزواج وصار لكل زوج ملف فى عقل هبة تستعين به لو اختلط عليها الأمر.

كل هذا وهما جالستان على أرضية الصالة، أفضل وضع ترتاح إليه

الست فاطمة عندما تتذكر. وتتنمل ساقا هبة

– شويه شويه حتتعودى

تقلد صوتها الرجالى والسعال يتخلله. كأنه صوت عبد المجيد، تأكد يحى من تشابه الصوتين والست فاطمة حائرة فى أى الألوان يفضلها زوجها الحالى.

– أربع سنين جواز ومش عارفه بيحب إيه.

سواء أكان لون قميص نوم أو ملاءة سرير أو مفرش، وقبل أن تتذكر ألوان الأزواج السابقين تشجعها هبة على اختيار اللون ده الأنسب لها والمطلوب بشدة هذه الأيام والذى قارب على النفاد. نظر يحيى لساعته كثيرا. اتفق مع ناهد على اللقاء بعد الشغل وعبد المجيد مازال مستغرقا فى الإصغاء. وهبة تطيل الحكاية. والست فاطمة لا تستقر على لون. تضع قميص النوم على جسدها وتدور دورة كاملة وتكاد أن تقع فتسندها هبة بكل قوتها حتى لا يقعا معا وتصير فاطمة فوقها بوزنها الثقيل. بعثت له ناهد برسالة على الموبايل "انت فين؟ الصفارات المتتالية لوصول الرسائل لم تزعج عبد المجيد. يظنها من مندوبين يستفسرون عن وجود بضاعة ما. غالبا ما تكون هبة أخر من يضبط معهم الحسابات فى الصباح. تأتى متأخرة وتنطلق مباشرة فى الكلام عما حدث لها. لابد أن يحدث لها شىء. ظلت واقفة منحنية فى الميكروباص طول الطريق. ويتجدد أملها فى الجلوس كلما تحرك راكب فى مكانه أو مد رقبته لينظر ناحية السائق أو عدل من وضع حقيبته على فخذيه وكلها علامات طلق كاذب تتكرر مع كل حركة جديدة. تحكى

كأن حكاياتها - مهما كانت - تهم الآخرين مثلها تماما، وقادرة على جعل المستمع يتخلى عن توقعاته فى الحكاية لينشد إلى ما تركز عليه فقط ويسلم نفسه لها، وتتوقف عن الحكى فجأة وتشير إلى الأوراق أمام يحيى ليبدأ فى محاسبتها.

فى أيامه الأولى بالمكتب كان يقاطعها لينهيا الحساب سريعا، وبعد أن توقف عبد المجيد أثناء مروره ليسمع ما تحكيه، عرف أن وجودها فى مكتبه فترة راحة غير معلنة تمتد حتى تنتهى هبة من الكلام.

ما فهمه أحمد حتى الآن أن رنا مازالت على قيد الحياة. ولم يتوقف طويلا عند تراجع يحيى عن قراره بقطع العلاقة معها، لكنه لم يفهم تراجع رنا عن الاندفاع نحوه كما حدث فى المرة الأولى، واكتفى بما قاله يحيى عن رغبتها فى تقوية ما بينهما. لم يكرر أحمد الحديث عن رغبته فى رؤية رنا فمن حق يحيى اختيار الوقت المناسب ومن حقه أيضا التركيز فى علاقته الجديدة دون تدخل من أصدقائه. كان يعلق على ما يحكيه يحيى وعندما يختلفان يشير إلى أن رؤيته رنا سيساعده على فهمها أكثر. كانت مدة حواره مع أحمد الوقت الوحيد المتاح لرنا لتعود إلى الحياة دون أن يشكك احد فى إمكانية تلك العودة ولا يبحث عن أسبابها. وتدريجيا صار يحيى لا يقلق من أنه يكذب على صديقه، فحديثه عنها كان يسترسل بسهولة ولا يتعب فى العثور على الكلمات. كان يتكلم عنها بما يخيله لو ظلت رنا تلتقى به وتسأله عن حياته وعن مستقبلهما معا وتصف له قلقها من كثرة اتصالاته بها وأملها ألا يعرف

والداها الآن ورغبتها فى استمرار علاقتهما وعن خوفها من أن يمر الوقت ولا تستطيع تحقيق شىء مما تريده. وسأله احمد عن السبب فى خوفها الدائم من الوقت بالرغم من صغر سنها، وكأن السؤال إشارة ليحيى ليضيف جديدا إلى الحكاية مادام لا يستطيع ذكر السبب الحقيقى ولا يرغب فى الاكتفاء بالصمت وإظهار الحيرة، فتحدث عن ازدياد خوفها منذ موت صديقة عمرها التى تزور رنا فى أحلامها، وكلما التقت بيحيى حكت له حلما وفسرته بمحاولة صديقتها الاستمرار فى الحياة من خلال تلك الأحلام، ومن خلال أن تلتقى فى كل حلم بشخص كانت ترغب فى رؤيته لتقول له وتفعل معه أى شىء تمنته قبل رحيلها، ولا تضايق تلك الأحلام رنا فهى ترى فى كل حلم ما تريده هى أيضا، وقد سبقتها صديقتها فى فعله رغم موتها.

طلب أحمد منه التفكير فى وضع نهاية لهذه العلاقة فهى لا تحتاج إلى يحيى بل إلى طبيب يخلصها من صديقتها. ومع إصرار يحيى على الاستمرار فى العلاقة نصحه بالاستفادة من أحلامها ويفتح الطريق لردود أفعاله كيفما تكون: يندفع فجأة فى تقبيلها واحتضانها، وعذره أنه تحت تأثير ما حدث لصديقتها ولا يعى تماما ما يفعله معها. وإذا لم تستجب له يحدثها بأن لا وقت للرفض، فقد يحدث لهما ما حدث لصديقة عمرها التى يرفض يحيى أن يكون مثلها ويحقق ما يريده فى أحلام أصدقائه بعد موته.

ابتسم يحيى فجأة عندما وجد نفسه يستمع بجدية لرأى أحمد ويهز رأسه اقتناعا به. تخيل لو أنه فارق الحياة الآن سيتحدث صديقه عن انشغال يحيى فى أيامه الأخيرة برنا وقد يبحث عنها ليراها ويحكى لها

أن أخر كلمات قالها كانت عنها وعن صديقتها. وعندما يعرف بموت رنا سيتحدث عن معاناة صديقه لدرجة استمراره فى الحديث عنها دون الاعتراف بموتها.

ظل عبد المجيد ينصح يحيى بأن يكون على مستوى "المسؤولية" وعند هذه الكلمة توقف طويلا، وكيف أنها تكشف عن معدن الرجال. وسبب اختياره يحيى ليكون مسؤولا عن المكتب أثناء سفره لأنه أهل لهذا، وحذره من أن يخيب ظنه. حاول يحيى أن يوازن بين إصغائه لـ"المسؤولية" وبين متابعته خياله الذى راح يصور له كيف أتته الفرصة، وسيختلس يوم إجازة أو على الأقل يأتى متأخرا أياما. ومادام كل شيء سيكون على ما يرام عند عودة عبد المجيد فلن يقلقه أن يشى به أحد العاملين. ولم يتوقف خياله عند هذا الحد بل أبان وجهه وهو فى الإجازة راضيا بما توصل من أشياء غابت عنه فى حكاية رنا، وقدرته على معالجة آثارها التى ظلت مكتومة تحت ضغط العمل. وكلما حاول التركيز فى كلام عبد المجيد ازداد خياله توهجا أو مقاومة لحصار يحيى له.

– عايزك تملا المكان فى غيابى

والتقط خياله كلمة غيابى وأراه كيف ستستريح ذاكرته ولن تظل طول الوقت تحوم حول عبد المجيد فى انتظار أن يستدعيها.

رأى يحيى الفرحة التى تغمره أكبر من أسبوع فقط سيغيبه عبد المجيد فى الصين للاتفاق على بضائع جديدة. من قبل كان يترك إدارة المكتب إلى أخيه الذى يملك مكتبا آخر، لكنهما قررا السفر معا ليتكفل

كل منهما بمنطقة ويستكشف ما فيها من جديد. تدريجيا شعر يحيى أن فرحته هذه تخص شخصا آخر وتملكته عن طريق الخطأ، فكل ما يخطر فى خياله لن يتحقق بل ستزداد مسؤولياته ولن يرتاح، بالكثير سيستطيع المجيء متأخرا يوما واحدا، وستكون حجته السهر فى المكتب، لكن أكثر من ذلك سيبدد كل نجاح سيحققه، وسيعرف عبد المجيد من المندوبين أنهم تأخروا فى الانطلاق إلى مناطقهم بسبب انتظارهم يحيى.

وهنا نشط أيضا خياله لا ليصور نقيض هذا الكلام بل أظهر ليحيى كيف سيخطئ بعدما يجيء متأخرا، وسيسجل أرقاما غير صحيحة سواء بالناقص أو بالزيادة، وفى كلتا الحالتين سيزداد الضغط عليه، ولن يهنأ بأية فائدة ممكنة من غياب عبد المجيد، وكأن كلمة الغياب هى كلمة السر التى تطلق خياله فى هذا اليوم، فما إن فكر فيها حتى انطلقت الخيالات تصور له ما يمكن فعله فى هذا الأسبوع وكأنه لن يذهب إلى العمل أبدا وسيظل يجرى وراء ما يتخيله. لم يتوقع أن خياله يؤجل الكثير مما يمكن فعله فى حكاية رنا: أن يركب المعدية فى نفس التوقيت الذى غرقت فيه، وهو ما كان صعبا مع ذهابه للعمل يوميا واستيقاظه متأخرا فى يوم إجازته الجمعة، وما الفائدة من فعل هذا؟ يجب ألا يكون بخيلا فى أفعاله إلى هذه الدرجة، وعلى الأقل يركب المعدية التى كان غرقها سببا أساسيا فى زيارتها له، ولا يكتفى بالصور التى رآها فى الجرائد، ومن بينها صورة المعدية قبل الغرق وقد

رفع عليها العلم المصرى كأنها تبحر بين دول مختلفة وليس بين الحوامدية وكورنيش حلوان. وصور عدد من الغرقى مأخوذة من بطاقاتهم الشخصية وواضح فيها دبوس البطاقة العريض، ولم يكن فى أية جريدة صورة لرنا، اسمها الرباعى فقط وبجواره كلمة طالبة. تضايق يحيى عندما عاد يوما ووجد أمه أخذت جريدة منها لتلمع بها الصور المعلقة على الحائط وزجاج البوفيه، ثم وضعت الباقى فى المطبخ بدلا من تكويمها فى دلاوبه، أعادها إلى مكانها محتاجها جدا كلها؟ مشيرة إلى إمكانية أن يقص يحيى ما يريده ويعطيها الباقى، ولا يفعل مثل أبيه ويحتفظ بالجرائد كاملة بسبب خبر صغير أو مقالة أعجبته.

فرد عبد المجيد أمامه خريطة للصين وأشار إلى الأماكن التى سيزورها. وضحك وهو يدق على بقعة هيه دى اللي بنجيب منها فوانيس رمضان تمنى يحيى أن ينتهى من تكليفه بالمسؤولية ويخرج ليكف خياله عن نشاطه.

– مين عالم ممكن تسافر مرة معايا.

عندما أبلغه عبد المجيد منذ شهور باختياره لشغل وظيفة محاسب تمنى لو عرف السبب. كل من تقدموا معه كانوا يملكون خبرة مثله فى أعمال سابقة، ورجح تميزه عنهم بإجاباته على الأسئلة والتى كان من بينها ليه عايز تشتغل هنا؟

– عشان اشتغل ولأن المستقبل لمكاتب التوزيع.

حيّرته ابتسامة عبد المجيد ما إن نطق بكلمة المستقبل، وحسبها سخرية من مبالغته، وفهم بعد العمل معه إعجابه بهذا النوع من الإجابات. فى مرة وكان معدل التوزيع انخفض، حدق عبد المجيد فى الفراغ وهم يحيى بأن يذكر له نسبة الانخفاض فى كل سلعة إلا أن صوته انطلق.

- الجيش اللى ما يعترفش بالهزيمة مستحيل ينهزم

ألقى بها حكمة يعلمها ليحيى الذى انتظر أن يتبعها بتذكر حكاية عن جيشه، لكن عبد المجيد ظل يشرحها له ويعالج التناقض الذى يضربها مؤكدا طول الوقت الناس مش فاهمينها صح ، وتكررت كلمة الناس إلى درجة يبدون معها أنهم يتآمرون على جملة عبد المجيد أو يعاندونه بإهمالها.

فكر يحيى فى التحجج بضرورة الذهاب إلى الحمام لينفرد بنفسه ويوقف نشاط خياله، ثم تراجع بعدما سخر من أن يكون سبب خروجه ضيقه من خياله الذى أخذ يتقافز فرحا باستمرار هروبه من حصار صاحبه، وقدرته على أن يحيل الخريطة التى تقبع خلف عبد المجيد إلى شاشة، يرى فيها يحيى نفسه نائما فى طمأنينة، يحلم بحوار مع رنا تجيبه فيه على كل أسئلته، ويستيقظ ليخرج البلوزة ويسرح فيها مستعيدا الإجابات بتمهل من يتهجأ الكلمات حرفا حرفا. وتبع هذا رؤيته وهما متعانقان ثم وقوعهما على السرير واندهاشه من تخلص رنا من ملابسها بسرعة، وضيقه من عدم تركيزه وقلقه من أن تطرق أمه باب الغرفة، وشعوره بأن اللقاءات التالية ستكون أجمل. كل ما يراه

الآن ليس جديدا، وتكرر حكيه مرات مع ناهد، لكنه وجده على الخريطة كأنه النسخة الأصلية المحتفظة بكل رونقها، ولم تستهلك من كثرة تشغيلها، وسيفقدها فور خروجه من هذا المكتب. ما إن وصل إلى هذه النتيجة حتى وثق من سيطرة خياله عليه تماما. ركز فيما يقوله عبد المجيد وتابع ما يعرض خلفه. أغمض عينيه مرددا أنها ميتة ليصرف تلك الشاشة

- مالك؟

- تعبان شويه.

- لأ. مش وقته. مسؤوليتك حتبقى كبيرة الأيام الجايه.

وهو يخرج شعر بخياله مستمرا فى الداخل، يكمل عرض ما يريده على الشاشة حتى فى غياب يحيى.

- مبسوط؟

سألته هبة ما إن دخل مكتبه. هز يحيى رأسه وتظاهر بالبحث عن ملف لعلها تفهم احتياجه للجلوس بمفرده. تعب من تشتته بين متابعة خياله والإصغاء لعبد المجيد. وليس مستعدا الآن لإتمام حسابات أى مندوب حتى لو كانت هبة. ولا يريد سماع الحكايات التى تحكيها عن زبائنها ولا أن تقلد له أى إنسان حتى لو كان عبد المجيد

- دى أول مرة يسيب المكتب فى إيد محاسب

لم يسألها متى عرفت. تضايق من انتظارها لتسأله عن رأيه فور خروجه. أخبرها بأن القرار مفاجأة فأشارت هبة بيديها لتحثه على تجاوز التعبيرات المعتادة و يكشف عن الكلام المهم. لم يفهم ما الكلام

الذى تنتظره. وما الذى تتوقع سماعه منه غير مفاجأة. حاجة غريبة. الموضوع مش سهل نظر إلى الملف الذى أمامه وهو يسألها عن أخبار التوزيع. فأغلقت الملف بيديها

– أخر مرة خدت أجازة إمتى؟

– من اتناشر يوم

لا يحتاج إلى وقت ليحسب. فإجازته كانت يوم زيارة رنا، وإذا كان الجميع يعرفون قوة ذاكرته فإن تلك القوة تضاعفت منذ هذه الإجازة. فأكثر الأشياء التى خشى منها بعد الزيارة أن يستيقظ يوما ليجد نفسه لا يستطيع تذكر أى شىء ويتلفت بحثا عمن ينقذه. نصحته هبة بالاستعداد من الآن، فلن يوافق عبد المجيد على أية إجازة يطلبها مهما كانت الظروف، وحتى يوم الجمعة سيأتى فيه إلى المكتب، وسيدوم هذا الحال إلى أن ينتهى المدير من التحقق بنفسه من كل الاتهامات التى سيسمعها بعد عودته من رحلته. وأبسط هذه الاتهامات أن يحيى ظن نفسه المدير وظل يردد عدم نجاح المكتب بدونه وكلمته لا ترد ويقدر على أن يؤذى أى مندوب.

فتح يحيى ملفا مظهرا عدم اهتمامه بكلامها. ولا بسؤالها لماذا تنصحه. من كثرة ما رأى هبة وهى تقلد زبائنها صار يتعامل مع كل ما تقوله على أنه تقليد، سواء تقلد شخصا بعينه أم تقلد طريقة فى الكلام. تتكلم بجدية فى موضوع ما وقد يصغى لها يحيى بجدية أيضا ثم يقلقه أثناء تكلمها عبارة أو نظرة أو حماس مبالغ فيه. أى شىء تقوله يجده تجربة تجريها على من يستمع إليها، ونتيجة التجربة أنها نجحت فى إقناعه بالشخصية التى تقمصتها لذلك كان عبد المجيد يشركها فى

اختبار البنات اللاتى يتقدمن للعمل فى التوزيع، كان يستمتع بالأسئلة التى توجهها هبة والمواقف الصعبة التى تطلب من البنات تخيلها والتفكير فيما سيفعلنه. وكانت هبة تعلم أن عبد المجيد سيقبل بكل المتقدمات سواء أجبن على أسئلتها أم لا لذلك كانت لا تمنحهن وقتا للتفكير وتجيب على أسئلتها بنفسها، وتجعل إحداهن تمثل دور الزبونة التى تقنعها هبة بالشراء بعد ما تظهر قدراتها فى تنغيم صوتها وتسريع الكلام وإبطائه وتغيير مجرى الحوار بنكتة تساعد على الوصول لسعر مناسب، اختبارات كأنها ليست للبنات الجديدات بل لهبة لتثبت أنها الأفضل.

أغلق يحيى الملف، فلا فائدة من التظاهر بالنظر فيه والانشغال بالأرقام مادامت هبة مصرة على البقاء معه وتنتظر أن يتكلم. سألها إن كانت ستأتى إلى المكتب أثناء سفر عبد المجيد. فأشارت بيديها مرة أخرى ليتجاوز سؤاله ويقول المهم. هم بأن يصيح فيها غاضبا من إشاراتها ومن عدم معرفته بما تريده، لكنها بدأت تحكى له عن أول يوم استلم فيه الشغل، سألته يومها عن برجه فأجاب "الحوت" "مستحيل". وظلت هبة غير مصدقة حتى بعد أن أخبرها بتاريخ ميلاده فملامح وجهه لا تنطبق على برج الحوت بل أقرب لبرج القوس وأشارت إلى جبينه وعينيه، ثم سألته عن أفضل أيام الأسبوع "الجمعة" وعن أجمل الألوان "الأزرق" وأسوأ الأشياء "الصحيان بدرى" وأكثر ما ينساه "الأحلام" وأشد ما يخيفه "الموت" وكان يحيى يجيب على أسئلتها كأنه

شك في صحة برجه وينتظر نتيجة الامتحان، وهذه صفة ليست من برج الحوت الذى يرفض أن يكون فى امتحان ويعشق أن يمتحن الناس. وانتهت هبة إلى أنه من برج القوس وراهنته على هذا وستكسب الرهان إذا وثق عبد المجيد فيه واعتمد عليه أكثر من أى محاسب قبله.

– والنهارده صدق كلامي إيدك على الرهان.

لم تكف هبة أثناء حكيها عن تحريك يديها بحيث تبدو لمن يتابعها من خلف الفاصل الزجاجي أنها ترقص وهى جالسة أو تعرض على يحيى حركات يديها المميزة فى الرقص.

لا يتذكر يحيى كل هذه الحكاية. ولا يمكن أن ينسى تفاصيل أول يوم له فى الشغل خاصة لو كان مرتبطا بهبة. ورغم أن إجاباته على أسئلتها عن الأسوأ والأفضل والأجمل كانت صحيحة لكنه لا يتذكر أيضا أنه قالها، ولا يتخيل أنه انشغل فى يومه الأول بالإجابة على أسئلة فتاة لا يعرفها لتؤكد له فى النهاية خطأ برجه.

اعتبرت هبة عدم تذكره وسخريته من الأبراج حجة ليتهرب من دفع الرهان. لم يتفقا يومها على رهان محدد وتركت له تحديده عندما يصدق كلامها، ولم تكن هذه المرة الأولى التى تصحح فيها هبة البرج لأحد، فالكثير من زبائنها صاروا يتبينون حظهم من برجين: البرج الذى لازمهم دائما والبرج الذى اقترحته هبة. وممكن أن يفعل يحيى مثلهم فلن يخسر شيئا وليعتبر البرجين فتاتين يحبهما فى الوقت نفسه. طلبت منه التفكير فى طريقة يؤدى بها الرهان الذى كسبته. وذهبت إلى عبد المجيد لتقرأ له حظه فى البرجين اللذين اختارتهما له.

منذ أن لمس جسده جسد رنا لم يقم بعلاقة مع أية واحدة أخرى. ومطالبة هبة بالرهان يمكن أن تكون خطوة أولى إلى شقة أحمد. تخيل صديقه لو رآها سيحسبها مباشرة رنا ويهنئ يحيى على اختياره وأن نوقه صار أفضل ويهمس له بأنها تستحق الصبر عليها وعلى أحلامها الغريبة. بدأ خياله ينشط مرة أخرى كأنه يريد إكمال ما بدأ في غرفة عبد المجيد. لم يكن خياله يستقر على حالة لهبة، يظهرها وهي بين ذراعيه تلومه على تردده كل هذا الوقت ثم يظهرها خياله وهي تأخذ الهدية وتؤجل لقاؤهما بعيدا عن المكتب. يرى نفسه وهو يسارع بخلع ملابسه ليتجاوز قلقه من نظرة رنا التي تراقبه وتبتسم لأنه يذكرها بسرعتها في التخلص من ملابسها بينما هبة تطلب منه أن يهدأ فالوقت متاح أمامهما. نظر يحيى إلى المصباح المعلق في السقف. الإضاءة أقوى من اللازم. يرغب في أن يطفئ نور مكتبه أو على الأقل أن يخفف من حدته. ضايقه الوضوح الذي يظهر به خياله وجه كل من رنا وهبة. لم يسعفه إغماض عينيه. ظلت ملامح الوجهين واضحة. يعرف تلك الأوقات التي يتذكر فيها وجها لفتاة عرفها منذ سنوات، ويثير وجهها ذكريات ظن أنه نسيها ويراها أوضح من وقت حدوثها. لكن وجهي رنا وناهد يبدوان في عينيه كما لو كانا لم يفترقا أبدا، واعتادا على الوجود معا في حياته، وعليه هو الاقتناع بهذا بدون دليل سوى الوضوح الأكثر من اللازم لملامحهما في خياله.

ألحت عليه ناهد أن يزور والد رنا، ويدردش معه لعله يفيدهما

بشيء، فهو لا يجلس معها، ويتركها مع زوجته بعد أن يسلم عليها ويجيب باقتضاب عندما تسأله عن صحته، ورغم كثرة زياراتها لم تنجح في استدراجه إلى الكلام معها. لم يكن يحيى مقتنعا بأهمية الزيارة، ويرى الاقتراح نتاج هوس ناهد بحدوث أو العثور على أي جديد. و إذا وافقها في هذا الأمر فستقترح عليه أفكارا أخرى، وسيكون تنفيذ اقتراحاتها الشيء الجديد الذي سيحدث في حكاية رنا. رفض موضحا لها أن مثل هذه الزيارات ليست من عاداته ولا يجد كلاما يقوله فيها. وكررت ناهد كثيرا أن زيارته لوالد رنا قد تجعلهما يتعرفان منه على جزء لا يعلمانه عنها بعد موتها. قالت السبب نفسه حينما عرضت عليه الذهاب إلى المعدية أخر مكان كانت فيه رنا على قيد الحياة. وحكت له بعد ما عادت عن هذا الرجل الذي قابلته عندما ركبت المعدية. ما إن سمعها تسأل عن حادثة غرق الركاب حتى صاح بأنه كان موجودا هذه اللحظة. جلست جواره فرحة بعثورها على شاهد عيان. وتدريجيا وجدت الرجل يتحدث عن استمرر وجوده تحت الماء أكثر من ساعة دون أن يتنفس، واستطاع تحديد أماكن الجثث، وعندما أتى الغواصون خرج سريعا ليدلهم على أماكنها، ولولاه لظلت جثثا كثيرة عند القاع. أهملته ناهد وأصغت لتعليقات بقية الركاب الذين ركزوا على أن تأخر إنقاذ المعدية تسبب في موت الكثيرين، واندهشوا من أن المعدية غطست مقدمتها بسرعة وتكسرت الكابينة العلوية ما إن مالت، وكانوا قد ظنوا أنه تم إصلاحها بعد دهانها بألوان جديدة ورفع علم مصر فوقها. وعندما عادت ناهد إلى البيت تذكرت وجه الرجل. انشغلت

بكلماته. وظلت تسمعها بوضوح. استغرقت فى تخيل ما حكاه وشعرت بنفسها معه تحت الماء، يتجولان معا يشاهدان الغرقى ومن يحاولون الخروج ومن فعلوا مثل رنا. لم يصرفها عن استغراقها حديث أمها ولا مشاهدة التليفزيون ولا المكالمات التليفونية، أسرعت إلى النافذة شاعرة بالهواء حولها صار حائطا مصمتا لا يمرر أية نسمة، وبينما تحاول استعادة قدرتها على التنفس رأت الرجل وهو ينادى الغواصين لينقذوها ويحدد لهم مكان وجودها.

لم يحدث أن أتى كل المندوبين فى وقت واحد. ما إن دخل المكتب الساعة الثامنة حتى وجد ازدحاما ظن معه حدوث مشكلة. لم يكن كلهم فى حاجة إلى أن يأتوا فى هذا الوقت المبكر. الكثير منهم كانوا عادة يأتون الساعة العاشرة أو الحادية عشرة. فهم يحيى مباشرة أنهم يتحدونه بازدحامهم أثناء سفر عبد المجيد، ويحاولون التسبب فى إحراجه أمام المدير بالأخطاء التى سيقع فيها لتسرعه. لم ينفعه صياحه فيهم بأن يصمتوا، كانوا يستجيبون له دقائق ثم يعودون لتذكيره باستعجالهم وبخوفهم من التأخر على الزبائن.

ليس الزبائن محلات أو مكاتب ممكن الاتصال بها والتأكد من زعم المندوبين. الزبائن ناس فى بيوتهم، فى مصالح حكومية مكتظة بالموظفين، جالسون على المقاهى. وإن استطاع الاتصال بزبون لا يستطيع الاتصال بالآخرين.

ظلت سرعته تتزايد فى إنجاز حساباتهم، يده صارت كأيد تريح بعضها بعضا وتتبادل أماكنها بسرعة.

ظن أن علاقته بهم توطدت وعدم اقتناعهم به فى البداية انتهى بعدما دافع عن أكثر من واحد منهم أضاع بضاعته. هجومهم المباغت عليه اليوم لم يفهم هل بهدف التخلص ممن لم يحبوه أبدا أم انتقاما من الذى تخرج فى الجامعة مثل كثيرين منهم لكنه جالس وراء مكتب بدلا من أن يدور ويلف مثلهم. حتى لو انتبه لما يخططوا له قبل سفر عبد المجيد ماذا كان سيفعل ؟ حجتهم بوجود زبائن تنتظر كافية لتظهرهم حريصين على أعمالهم، وأبعد ما يكونون عن تدبير شىء ضد يحيى، وسيساندهم عبد المجيد ويعود إلى خريطته ليتأمل حركة التوزيع ويفكر فى إمكانية زيادة عددهم.

ظل يراجع الحسابات بعد أن انفض الهجوم. وكلما اطمئن على خلو ورقة من الأخطاء انتظر اكتشاف خطأ فى الورقة التالية. وعندما انتهى من المراجعة تشكك فى صحتها. راجع مرة أخرى بصوت عال ليمنع نفسه من الشرود ومن التفكير فى الهجوم الذى حدث.

جالس بمفرده فى المكتب. يحدق فى الفاصل الزجاجى ويستعيد عليه وجوههم. لم يظهر عليها علامات التآمر. التزمت بتعبيراتها المعتادة والقلق من التأخر عن مواعيد مع الزبائن. لم يلمح نظرات سخرية أو فرح بارتباكه. أخفوا ما يقصدونه جيدا واشتركوا جميعا فى اللعبة.

عدم سماعه لأى تعليق على الحالة التى كان فيها أكد له أن الهجوم مدبر. ظل طول الوقت بينما ينجز حساباتهم ينتظر سماع تعليق من أحدهم على ارتباكه، لم يسمع سوى همهمات غير واضحة، دفعته مع استمرارها فى أذنه إلى أن يزيد سرعته لينتهى منها تماما. يتوقع هجومهم مرة أخرى غدا أو بعد غد. ولا يعنى له شىء أن يحث نفسه على الاستعداد لهم. فأقصى ما يمكن أن يفعله الثبات بقوة أكثر أمام الهجوم. سيطرت عليه صورة المشاة وهو يهاجمونه ويحاصرونه، كما سيطر عليه تخيله لو كان مكانهم، وما سيضيفه إلى مخططهم، بتشجيعهم على معاودة الهجوم بدون هدنة، وأن يظهروا أكثر تأخرهم عن مواعيدهم و يتظاهر بعضهم بنسيان شىء فيضطر إلى إعادة حساباته مرة أخرى. يتوزع تفكيره على الجبهتين، ويشعر بحيوية من يجرى فى مكانه ويظن أنه قطع آلاف الأميال، وعندما يتوقف عن الجرى يشعر بالعبء الذى عليه ليرجع كل هذه المسافة، فيسند رأسه إلى حافة الكرسى.

بعد تسريحه من الشركة، شارك أصدقاء عاطلين مثله الهجوم على الصديق الوحيد الذى يعمل. فى الظاهر كان سبب الهجوم استهانة الصديق بارتفاع سعر الشاى ربع جنيه، فراحوا يصفونه بأنه لا يشعر بأحوال من حوله، ويظن الناس كلهم آمنين مثله. تركهم الصديق وانصرف إلا أنهم ظلوا يهاجمونه، كأنهم لا يريدون أن ينعم حتى بغيابه، ويذكرون اسمه مشيرين إلى كرسيه الشاغر الذى أماله أحدهم ناحيته كما لو كان يشده من ياقته.

نطق بـ المحطة الاسم الذى يطلقه المندوبون على مكتب عبد

المجيد للتوزيع   ويذكرونه أحيانا وهم يتحدثون مع يحيى   امبارح لما جيت المحطة   الصنف ده قرب يخلص من المحطة   لا يكره يحيى هذه الكلمة لكنه لا يستخدمها. وعندما يسمعها يجد نفسه ينتظر مثلهم شيئا مع فارق بسيط أنه لا يتعجل هذا الشيء. ينتظر مثل أى راكب يثق أن القطار سيأتى حتى لو تأخر، وما على هذا الراكب سوى أن يخفف من قلقه بالفرجة على ما فى المحطة وعدم النظر فى الساعة كثيرا وإذا سأله أحد عن الوقت فليخبره بتوقف ساعته. حدثته هبة مرة أنه كبقية المحاسبين الذين عملوا فى هذه المحطة لا يحب استخدام هذه الكلمة التى تذكره أنه فى عمل مؤقت. وفى أية لحظة قد يجد نفسه مطرودا منه وينتظر عملا آخر. وعرفته أن المندوبين صاروا يطلقون المحطة على أماكن كثيرة في حياتهم: على بيوتهم، على المقاهى التى يجلسون فيها، على المطاعم التى يأكلون فيها أثناء دورانهم فى الشوارع. أماكن يريدون الابتعاد عنها ويتمنون ألا تكون محطتهم الأخيرة.

ربما كان من الأفضل أن يغادر يحيى المكتب. ويعود إلى بيته وينام وينتهى من يوم طويل، بدلا من جلوسه هكذا على الكرسى ينظر إلى الفاصل الزجاجى، ولا يرى خلاله سوى صناديق مكومة فوق بعضها مشكلة وجها جحظت عيناه. وجوه كثيرة مطبوعة على تلك الصناديق، ولا تشبه أى وجه يعرفه، لا وجهه ولا وجوه المندوبين التى يوزعونها. تم اختيارها لتداعب خيال المشترين لا ليتذكروا بسببها وجها يعرفونه. تطرد كل الذكريات لتصير هى المحطة التى يتوقف عندها الجميع.

ظل يرى الصناديق جاحظة العينين. فكر في وجوه تشكلها أشياء بدون قصد: ملاءة تهدلت من على السرير مظهرة وجها مسحوبا إلى الأرض. دخان سجائر تصاعد إلى السقف يبين عن وجه سرعان ما تتباعد ملامحه عن بعضها. أوراق متناثرة يود لو يضيف قصاصة إليها حتى لا يظل الوجه أعور. وبلوزة تظهر وجها جديدا كلما رمى بها على السرير بعد أن يكون قلّبها بين يديه وتشمم رائحتها. وجوه غير واضحة تظهر صدفة وتختفي من أهون حركة، ولا يلمحها سوى من يحدقون فيما حولهم ولا يفكرون في مرور الوقت.

هذا آخر شيء ممكن أن يتحمله وهو عائد متعب من عمله. مين معايا؟" قالها يحيى مرات والطرف الآخر يؤجل التصريح باسمه. حد ما شفتهوش من زمان أوي وتتعالى ضحكاته حتى ظن يحيى ضحكه علامة مشهور بها بين أصدقائه. ظل يحيى صامتا والطرف الآخر.

لسه ما فتكرتش. بايني مش على البال خالص. هز رأسه موافقا على أن تحضر أمه الطعام وبدأ في خلع ملابسه والسماعة بين كتفه وأذنه

- أنا إسماعيل

لم يكتف باسمه بعد استمرار صمت يحيى، وذكره بأنهما كانا معا في الجامعة وتوصل إلى رقم تليفونه من سعيد صديقهما المشترك

- حيكلمك بكره بالكتير

تمدد على السرير ليريح جسده طول المكالمة. إجاباته المقتضبة جعلت إسماعيل يصارحه بأمله فى أن يلحق أخاه بالعمل فى المكتب

– نفسه يشتغل أى شغل

كرر مش عارف يعمل إيه وهو يذكر كم الأماكن التى تقدم إليها ولم تقبله. التقط يحيى صوت أخو إسماعيل الهامس يكمل له أسماء الأماكن التى تقدم إليها. ظل الصوت الهامس يلقن صديقه بما يجب قوله

– ممكن يشتغل أى عدد ساعات. ما بيتعبش أبدا من الشغل

سمع يحيى كل الجمل مرتين. وفى مرة أكمل الجملة قبل إسماعيل

– الله ينور عليك. انت أدرى بالوضع أكتر منى

وعلا ضحك إسماعيل مما اضطر أخوه إلى أن يهمس بقوة أكبر وعلىّ فلوس كتير ياريت اشتغل بسرعة لم يقل إسماعيل هذه الجملة استبدل بها

– الشغل حيفرق معاه أوى

كرر أخوه الجملة. وفكر يحيى أن يقولها ليوقف

– أوى أوى أوى

كررها إسماعيل بغضب ليسكت أخاه الذى اختفى همسه، وحل مكانه صوت الباب وهو يغلق بقوة

– ابن الكلب. معلهش ده أخويا الحقه بقى قبل ما يكسر البيت

– مالك؟

سألته أمه بعدما رأته يحدق فى التليفون. حكى لها عن إسماعيل

وأخيه. وقلد صوته الهامس. ذكره هذا الصوت بنفسه عندما كان بلا عمل لم يكن يشكو وكلما سأله زملاؤه عن أحواله رد عليهم بقوة فترة وتعدى لكنها قوة تخفي كل ما يريده قوله وأنهم سيصيرون مثله، فاستمرارهم في العمل ليس لأنهم أكفأ منه بل لأن تسريح العاملين يتم دفعة دفعة، وكان هو في أول دفعة لسبب يجهله. زميل قال له أنتم السابقون ونحن اللاحقون تمنى له يحيى ألا يكون من اللاحقين، فضحك زميله وقال إن هذه الجملة تقال عند موت أى إنسان، ومن يقولها يعزى نفسه قبل الأوان فصاح يحيى يعنى أنا ميت دلوقتى باعزيك فنفى زميله أن يكون هذا قصده، وظل يضحك طول المكالمة كأنه يريد الاعتذار عما قاله. رددت أمه:

- أنتم السابقون ونحن اللاحقون

فهم أنها تذكرت أباه. وضحك ليخفف عنها كأنه يكمل ضحكة زميله وسألها:

- فين الصندوق؟

- مش وقته. بعدين.

وبان غضبها وهي تقولها. لا تريد أن يعود لها حاملا أى شيء آخر من الصندوق ليخبرها أنه على عكس ما تصوزا. كان يمكن إخراجه من الدولاب أثناء زيارة أمه لأحد الأقرباء، لكن نبرة بعدين الغاضبة والرافضة أقامت حاجزا لا يريد عبوره، فلن تعاتبه لو اكتشفت فتحه الصندوق بل سيلمح غضبها فى نظرات عينيها واقتضاب كلامها معه وفى إخراجها الصندوق ووضعه فى مكان ظاهر، ولن تعيده إلى

الدولاب إلا بعدما تصفح عنه.

قرر الذهاب إلى الشغل مبكرا. يريد أن يكون فى استقبال المندوبين ويرون فى وجهه قدرته على صد أى هجوم. هل يستقبل أول القادمين وهو واقف أمام مكتبه أم داخله أم الأفضل الخروج لهم من مكتب عبد المجيد. استيقظ الساعة الخامسة وخرج من غرفته مرتديا ملابسه. صاحت أمه "الله اكبر وهى تصلى علامة على أن ينتظر ولا يخرج قبل أن تنهى الصلاة. كان أبوه يفعل هذا حينما تسأله أمه سؤالا عاجلا وتفهم من نبرات صيحته "الله أكبر إجابته موافق. مش موافق. استنى. اضطرت لذلك كثيرا بسبب إطالة أبيه للصلاة، وبعد خروجه إلى المعاش صارت أطول وغير معروف متى ستنتهى خاصة بعد أن استعاد ما نسيه من القرآن وأصبح صوته فى الصلاة فرحا بإكمال حزب على بعضه أو ربع. كان الدعاء هو ما يطيل صلاة أمه. الجزء الأكبر منه كان لأبيه وله. اعتادت على الدعاء له بالزوجة الصالحة والذرية التى تفرحه والنجاح فى كل أمور حياته، وأضافت برؤيتها له وقد هم بالنزول اليوم مبكرا "ألا يبعد عن طريق الصواب. ولا يغضبك يا الله سماعه الدعاء لا يعنى سوى معاينته لطابور ما ينقصه و يحتاج إليه. ومع كل الحب الذى فى الدعاء يثقل على قلبه سماعه لما يفتقده ولم يحصل عليه بعد، وحتى إذا نال كل ما يريده سيظل الدعاء يؤكد نقصانه أو على الأقل أنه غير دائم.

بعدما فرغت من الصلاة أخبرته أن أباه قلق عليه. منذ أن بدأ أبوه

يزورها فى المنام وهى تستيقظ لتخبر يحيى بأنه راض عنه لكنه يوصيه بالانتباه لصحته ويتمنى لو أسرع فى الزواج. لا يتردد يحيى فى الاستجابة لكل ما تقوله والتأكيد على أنه سيفعل، فشعور أمه بالراحة يعنى فى الوقت نفسه إراحة أبيه. وكانت تختم كلامها معه بأنهما يتمنيان له كل الخير ولن يتخليا عنه أبدا. فى كل كلامها عن حياته يكون أبوه حاضرا معهما، واعتاد على سماع لكن رأى أبوك مش كده

ويعلق يحيى على رأى أبيه دون الإشارة إلى موته ودون إهمال كل ما يقوله على لسان أمه. وأثناء تعليقه يرى الناس تنجب أولادا حتى يستطيعوا الحديث معهم بعد الموت، وزيارتهم فى الأحلام، وأن يخطروا فى بالهم فجأة ويدفعوهم لتذكر كلمة قالوها أو شيئا لم يعيشوه معا. ومع ازدياد رسائل أبيه إلى أمه شعر يحيى بأنه يرسل لها ما لا يقدر على إرساله لابنه الذى لا يتذكر أحلامه. نظر يحيى فى ساعته وخرج مسرعا وهو يتخيل صندوق بريد ممتلئ بالرسائل لكنه يجهل مكانه، ولا يقدر على إخبار من يراسلونه بأنه غيّر العنوان.

اقترب صديق عبد المجيد من الخريطة

– اللى فى مكتبى أكبر

ويرى تفاصيلها من على بعد حتى لو كان واقفا عند باب مكتبه. حاول إقناع عبد المجيد بشراء خريطة لمصر كلها، لكن عبد المجيد رأى أن يبدأ بالقاهرة الكبرى

– والخرايط مش حتخلص

عندما آتى فوجى بسفر عبد المجيد وظل يردد ما قاليش ليه

وسأل عن أحوال الشغل وهو يتوجه نحو غرفة عبد المجيد. فكر يحيى فى منعه من دخول الغرفة لكنه تركه ليبعده عن مكتبه ولا يرى هجوم المندوبين لو حدث. حكى له الصديق أن كلا منهما افتتح مكتبه فى الأسبوع نفسه، وعندما يتقابلان فى مكتب أحدهما يقضيان وقتا طويلا أمام الخريطة وهما يشيران إلى مناطق ضعف فيها التوزيع وأخرى تحتاج إلى زيادة المندوبين، وتظل أصابعهما تتنقل على الخريطة وتدق عليها ويضحكان عندما تتقاطع أذرعهما بينما كل واحد يريد أن يسبق الآخر فى الوصول إلى منطقة. ظل الصديق ينظر إلى الخريطة وهو يضيف أنهما خرجا إلى المعاش فى نفس السنة وبنفس رتبة عقيد

– ما تصدقش لما يقولك إنه أصغر منى

دائما مشكلة العمر تؤرق عبد المجيد، يقول منذ خمس سنوات وهو يقصد عشر أو عشرين سنة، ولو استطاع لجعل كل شىء حدث بالأمس فقط، وعندما يحثه أحد أصدقائه على تذكر تاريخ ما بدقة يسخر منه، ويراه لا يعيش حياته بل يتذكرها فقط، فالانشغال بتحديد تواريخ ما حدث لا تعنى له سوى جهد مهدر وأن الإنسان صار مسنا ومكتفيا بما عاشه منذ سنوات.

خروج عبد المجيد إلى المعاش لم يسعده. يرى دائما الحياة وحدة عسكرية ينقصها الضبط والربط. ويفكر فى فرض زى موحد على كل من يعملون معه. قاطعه يحيى رافضا الفكرة، فعرض الصديق عليه العمل عنده لو أصر عبد المجيد على تطبيق فكرته

– لغاية ما اعمل زيه

وضحك مكررا الجملة. وعندما وجد يحيى لا يشاركه الضحك أشاد بإخلاصه وحبه للعمل وذاكرته القوية. وفجأة وضع كفه على الخريطة وطلب من يحيى أن يذكر كم دائرة أخفاها

- ولا دايرة

- غلط. دول تلاتة

- ولا واحدة فيها مندوبين

أخلاها كلها عبد المجيد ووجههم إلى دوائر أخرى ازداد فيها الطلب. اقترب الرجل من الخريطة ودقق فى قراءة الأسماء.

- بس عليها علامة صح

- دى طريقته، الصح ما فيهوش شغل والغلط الطلب كتير

- والعلامة دى؟ وش ولا علامة استفهام؟

- دى اللى عايز يضرب فيها المكاتب التانية

لم يكن كل ما قاله يحيى صحيحا. تخيل لحظة أن يكشف هذا الصديق لعبد المجيد معرفته بأسرار الخريطة وكيف توصل إليها بسهولة، وعبد المجيد يسخر منه، فيظن الصديق أن عبد المجيد يخفى ضيقه بالسخرية. أما إذا لم يقل أى شىء واعتبره سرا يجب ألا يبوح به فسيعود الصديق إلى خريطته الأكبر ويدرس لماذا ترك عبد المجيد مناطق بدون مندوبين.

جزء من أغنية، صفارة أنسرماشين، صوت الأذان، السيارة ترجع للوراء، آيات قرآنية. تنبعث تلك الأصوات بينما المندوبون يجربون الأجهزة الكهربائية وألعاب الأطفال. ويتعرفون على مزايا كل منها،

ويتبادلون المعلومات التى توصلوا إليها. ويصيح أحدهم بتشتغل كده وتتضح فرحته بنجاحه فى تشغيلها دون كسر شىء ودون أن يتحمل ثمنها. ويبدون اندهاشهم من البضائع الصينية التى تواكب أحدث ما ظهر في السوق من أغنيات ونكت وتعبيرات الممثلين. ويعيدون تشغيل الأصوات التى تضحكهم ويرونها الأفضل فى جذب المشترين. فى مرة أسرع مندوب إلى مكتب عبد المجيد ومعه شيخ بلاستيك ما إن تضغط عليه حتى يتلو آيات قرآنية

- فيه آية غلط

جرب عبد المجيد أكثر من شيخ. الخطأ نفسه

- مش معقول نرميهم كلهم

ظل صامتا وهو يحدق فيهم وقد تراصوا على مكتبه. اتصل بأخيه. شرح له المشكلة وأن من اكتشفها واحد حافظ كتاب ربنا ناظرا للمندوب بضيق لوضعه فى هذا المأزق.

- صح كده. إحنا اشترينا لعبة ما اشتريناش قرآن.

أنهى المكالمة. وقرر توزيع البضاعة. وحذرهم من التحدث عن هذا الخطأ مع أحد، وعليهم التظاهر بعدم معرفته لو اكتشفه أى مشتر. وخرج من المكتب غاضبا حينما أعاد احدهم تشغيل الشيخ

مش عايز واحد منهم يبات هنا

ظل المندوب أياما يسأل هل سامحه المدير أم لا؟ ولم تقنعه إجابة يحيى بأنه لم يخطى وبالتأكيد سيستشيره عبد المجيد فى أى بضاعة مرتبطة بالقرآن

- إن شاء الله

بنبرة فهم منها يحيى عدم تصديق المندوب لكلامه وقراره بإخفاء ما يكشفه مهما كان.

قبل عمل يحيى فى هذا المكتب طرق مندوب مبيعات بابه. كان يحمل شامبوهات وعلب كريم للشعر وعليها تخفيض خمسين فى الميه وله الحق فى اختيار هدية إما فرشاة شعر أو علبة تستخدم كمرآة ولوضع الإكسسوارات. قال هذا في ثوان، وعندما وجد يحيى لن يشترى شيئا طلب كوب ماء، وظل وهو يشربه يمد يده بزجاجة الشامبو وعلبة كريم. تناول يحيى علبة الكريم فوجد المندوب يخرج بسرعة نوعا آخر من الكريم وهو مازال يشرب من الكوب. سأل إن كان يوجد أحد فى الشقة الفوقانية، أخبره يحيى بأنهم كلهم خرجوا. ظنها المندوب نكتة فأكد يحيى كلامه لكنه ظل واقفا أمامه مترددا بين النزول أو الصعود. أشار له يحيى بالصعود ليتأكد بنفسه. شكره المندوب ونزل. نظر يحيى من العين السحرية فوجد المندوب عاد وصعد. وعند نزوله قرب علبة الكريم من العين السحرية حيث رأى يحيى الوجه الضاحك المطبوع على العلبة. ولم يفهم إن كان المندوب فعل هذا حتى لا يراه يحيى أم ليشجعه على الشراء أم ليكشف مراقبته له. هم بالخروج إليه ليشتمه. توقفت يده عند مقبض الباب. تخيل المندوب وهو يقضى يومه فى الصعود والهبوط ومع كل باب يفتح يتجدد أمله فى أن يتخفف من حمله قليلا ويبيع شيئا ولا يثق فى أى شخص يؤكد له خلو الشقق من

ساكنيها، وصار الطرق على الأبواب وانتظار الرد اللغة الوحيدة التى يفهمها. وجزء من تلك اللغة أن يتمهل أمام باب انفتح وانغلق فى وجهه كأنه ينتظر من الباب إقناع من فى الداخل بإعادة فتحه وشراء أى شىء.

لا يعرف كيف وجد أمامه إحدى المندوبات. لم ينتبه لدخولها. وفى ارتباكه نهض ليسلم عليها وسألها كنتى بتقولى إيه؟ لسه ما قلتش حاجة. ومدت يدها بورقة مطوية مكتوب فيها كل أسماء الذين لم يشاركوا فى الهجوم أمس. وأوصته ألا يخبر أحدا بأنها أعطته تلك الأسماء. فرد الورقة فوجد يدها تمتد لتشير إلى اسمها نوال. نظر إليها يحيى وردد اسمها بالكامل كعادته حينما يتحدى أحد المندوبين ذاكرته. ابتسمت وأكدت معرفتها بأنه لا ينسى شيئا. كانت تفرحه تلك الكلمات فى بداية عمله بالمكتب وكان يرى نفسه وهو يسمعها مسيطرا بذاكرته على كل شىء، لكنها الآن أشبه بالمواساة والشد من أزره فى أوقات الشدة. لا ينسى شيئا وفى الوقت نفسه لا يستطيع أن يتوقع شيئا. لو طلب منه أحد كتابة الاسم الثلاثى لكل مندوب سيسارع بكتابتها وينتهى منها فى وقت قياسى لكن سيمزقها بعد ذلك، فالأسماء موجودة فى دفتر عند المدير ولم يفعل سوى إثبات أن ذاكرته نسخة طبق الأصل دون أن ينقص منها أو يضاف إليها شىء.

كانت معظم الأسماء فى الورقة لمندوبات. توقف عند اسم هبة فأسرعت المندوبة توضح له اضطرار هبة للمشاركة فى الهجوم عليه لكنها تثق فى تفهم يحيى لموقفها. لم تستخدم كلمة الهجوم استخدمت

كلمة اللعبة. وعندما كرر يحيى كلمة هجوم أكثر من مرة سألته إن كان قد عمل فى جيش من قبل. أجاب أنه لم يدخل الجيش. فأفهمته أنها تقصد بالجيش مكاتب التوزيع التي يديرها أناس مثل عبد المجيد قضوا كل حياتهم فى الجيش. ويكثر فى كلامهم المصطلحات العسكرية فيصفون المندوبين بالمشاة أو العساكر، والبضاعة بالذخيرة، والأماكن التى تشتد فيها المنافسة بالجبهة، ويسعدون عندما يردد من يعملون معهم هذه المصطلحات ويرونهم جديرين بالبقاء فى وحداتهم العسكرية. رغب يحيى فى أن يطول شرحها وتذكر كل ما يمكنها من أسماء ليظل يراقب حركة يدها فى الهواء التى تنتقل من جهة إلى أخرى ونبرات صوتها التى تتراوح بين بنت تهمس وضابط فى الجيش يأمر.

- رنا مين؟

لوهلة التبس عليه الأمر وظن السؤال صادرا منه وعندما وجد الواقفة أمامه تنتظر إجابته. نظر فى الورقة متظاهرا بالبحث عن اسم رنا.

- ما فيش حد بالاسم ده هنا

ابتسمت. وهمست بالاسم كأنها تهمس بسر لا يعرفه غيرهما. ونصحته هامسة أيضا ألا يتخلى أبدا عن رنا فمادام نطق باسمها دون أن ينتبه فهذا معناه حبه القوى لها، وأفضل شيء ممكن أن يفعله الآن الاتصال بها والإصرار على لقائها وأن يحكى لها ما حدث دون اختصار أى شيء ويصف لها ارتباكه وحيرته بالتفصيل. ناولته سماعة التليفون، وسألته إن كانت هى السبب فى تذكره رنا. لم يجبها وأعاد

السماعة إلى مكانها. أول مرة ينطق باسمها فى غفلة منه. على الرغم من حرصه وحذره. لا يقدر على أن يلوم نفسه على خطأه. فلم ينتبه إلا بعد نطقه بالاسم وظن أن شخصا آخر هو الذى قاله. أحلام لا يتذكرها. واسم ينطقه دون إرادة منه. وما العلاقة بين الاثنين ؟ كلاهما لا ينتظران الإذن منه بالحدوث وكلاهما يحققان رغبات لم يصرح بها وربما لا يعيها.

- تعالى اتفرج

أشار عبد المجيد إلى هبة الجالسة على كرسيه، وهو واقف أمامها يضحك، وكلماته لا تبين من شدة الضحك.

لم يتوقع يحيى أن يناديه عبد المجيد ليشاركه الفرجة على هبة، فقد كان غاضبا منه منذ عودته من السفر ومعرفته أن صديقه دخل مكتبه فى غيابه. كان يجب على يحيى منعه أو إرغامه على الخروج. فليس معنى أنه صديق العمر أن يقتحم مكتبه ويجلس فيه مع يحيى كأنهما فى بيتهما.

- صاحبى لما أكون موجود. فى غيابى كأنك ما تعرفهوش

بالطبع كان سيتظاهر بالغضب منه لو طرد صديقه لكنه كان سيعرف أن يحيي يفهمه جيدا ولا ينتظر أن يشرح له كل شيء. واستمراره في العمل معه رهن بأن يفاجئ عبد المجيد بسرعة تعلمه وأنه صار مختلفا عن أول يوم أتى فيه إلى هذا المكتب، ونال شهادة أخرى غير شهادته الجامعية. تذكر يحيي حديث أصحابه عن طريقة الصولات في الكلام مع العساكر الحاصلين على مؤهلات عليا،

فشهاداتهم الجامعية نقطة ضعفهم وأعاقتهم عن فهم الحياة التى يفهمها الصولات دون شهادة، ويذكرون كلمة الحياة مع أى خطأ يقع فيه العسكرى حتى لو كان خطأ غير مقصود، فالعساكر لم يفهموا فى جامعاتهم سوى الأخطاء وما ينقصهم أن يتعلموا الحياة هنا فى الجيش على أيديهم كما ينبغى.

توقف عبد المجيد عن الضحك وطلب من هبة أن تبدأ.

تغيرت نبرات صوتها. ولوهلة ظنها ستقلد هذه المرة أحد زبائنها من الرجال لكنه كان صوت يحيى، وهو يصرخ فى المندوبين مندهشا من أنه أتوا كلهم فى التوقيت نفسه، وظلت هبة تنقل نظراتها بين سطح المكتب وبين المندوبين وهى تكتب الأرقام، وتغمغم بأسماء البضائع وكمياتها، وفجأة أطارت القلم فى الهواء وتلقفته ثم عادت تكتب به مثل أى بهلوان يؤدى أكثر من حركة بسرعة وأحاطت القلم بكفها الأخرى خوفا من أن يخطفه أحد الواقفين وشدت شعرها الى أعلى وصاحت باشتغل بعشرين إيد وبغضب قطعت الورقة التى بها مسودة الحسابات "فين الورق؟" تسأل نفسها وهى تفتش فى الدرج ما حدش معاه ورقة فاضية" وصعدت فوق المكتب ومدت يدها عن أخرها لتلتقط الورقة من أحد المندوبين وردت على من شكك فى ذاكرتها بضحكة ما إن علت حتى كتمتها فجأة، وأبانت عن قوة ذاكرتها بتذكر قيمة ما وزعه المتشكك من شهر. من سنة. من عشرين سنة من قبل ما تتولد وبعدما فرغت من الحسابات تهدلت ذراعاها على جانبى الكرسى وحدقت فى الحائط. وبإعياء حركت أصابعها تكتب فى الهواء أرقاما ثم محتها وحاولت كتابتها مرة أخرى لكن رأسها سقطت على صدرها الذى اهتز مع كل جسدها ثم سكنت تماما.

- انت نمت ولا مت ؟

فلوحت بذراعيها مودعة وأسقطتهما بقوة.

لم يختنق يحيى من تقليد هبة له فقط بل لرؤيتها ما ظنه خافيا عن الجميع، وأظهرته بسهولة تجعل كل ما يفعله أقل من أن يعاش.

اتصل بعبد المجيد وأخبره بأنه سيتغيب اليوم. متعب ولا يستطيع الخروج من البيت. سأله إن كان غاضبا من هبة

- لأ.

- يبقى لازم تيجى

وسينسيه الشغل كل التعب

- طالبة كنت باديها درس ماتت

- باين درسك كان صعب أوى

وانفجر ضاحكا وراح عبد المجيد يتلاعب بكلمة الدرس، وأن طوله قد يسبب الموت وقصره يجلب السخرية، ولابد أن يكون الشرح تدريجيا ولا يتعجل النجاح ازدادت سرعة تكلمه، وتداخلت كلماته محاولا إثبات قدرته على مجاراة من هم أصغر منه فى كل ما يتعلق بالجنس، وباستطاعته مفاجأتهم بما يملكه من تلميحات لا تنتهى، وإن كانوا يملكون تعبيرات جديدة لا يعرفها إلا أنه مازال قادرا على فهمها بسرعة والتعامل معها بما ينسيهم فرق السن. جملة لا تعنى إلا ما تظهره جعلت يحيى يرى عبد المجيد يمد حبلا ويتقافز فوقه، ويبالغ فى حركاته ويستغرق فيها لكى ينسى المتفرجون أنه حبل على الأرض. كان يمكن ليحيى ذكر سبب غير رنا. خرجت منه الجملة كما لو كانت الشىء الوحيد المتاح لتعليل ما يعجز عن ذكر سببه. توقع أن تؤثر الجملة فى

عبد المجيد وتجعله يصمت أو يعزيه مستوضحا من هى، وكان سيجيبه بكلمات قليلة تعكس حزنه وتبين عن عدم قدرته على الحديث عنها.

حتى الآن ما إن يقول كلمة ماتت حتى يفهم الآخرون منها كل شىء إلا ما يقصده. كأن الموت ليس أخر ما يمكن فهمه منها فقط بل ليس فى الحسبان أصلا. ليس على أية خريطة

- الدروس كتيرة. المهم الصحة.

قالها بصوت عال جدا، فأبعد يحيى السماعة عن أذنه. فكر فى احتمال وجود إحدى المندوبات التى تتظاهر بالإنصات لعبد المجيد وتكتم ضحكتها حتى لا تصل إلى يحيى، وقد تكون سعادته بتلاعبه بكلمة الدرس أمامها سبب موافقته على الإجازة.

أفضل حل التكلم مع والد رنا كأن الحوار بينهما لم ينقطع منذ أن أتى يحيى للعزاء.

- قالت لى ناهد إن صحة والدة رنا بتتحسن

- الحمد لله.

- وقضية التعويض أخبارها إيه؟

- خدوا منى التوكيل.

انطلق يحيى يؤكد أهمية التعويض، فأرواح الناس ليست لعبة، وما يبقاش موت وخراب ديار ما إن قالها حتى رأى نفسه تاجرا يروج لبضاعة كاسدة فخفف من حدتها بـ ده حقكو مش إعانة وسخر من التعويض الذى صرفته الحكومة ودى إهانة واضحة لينا كلنا

لم يكن يحيى يتوقع أن الحديث بينهما سيمضى هكذا. تشبث بقضية التعويض لأنها الموضوع الوحيد الذى أتاح له مواصلة الكلام بعيدا عن الجمل المعتادة فى مثل هذه المناسبات. وتمنى وهو متدفق فى الكلام أن يقاطعه والدها ويخبره بأى شىء غريب عن رنا، ويقول له لا داعى لكل هذه المقدمات وتعال أحكى لك عما هو أغرب من تهافت التعويض لحظتها سيبدى يحيى مباشرة موافقته ويكشف له عن عدم فهمه لقضايا لتعويضات، لكن إجابات والدها كانت مقتضبة، واتضح انزعاجه من نبرة يحيى الحادة فى الكلام عن الحكومة لدرجة أنه قال

– لا يمنع حذر من قدر.

لاحظ سرحان والدها فجأة وهو ينظر إلى الحائط، كانت عيناه بالكاد ترمشان وتحدقان فى الحائط وكفه مستمرة فى سحب حبات المسبحة. ظل يحيى صامتا حتى ينتبه والدها ويعود إليه. تنحنح لعل وعسى، لكن الرجل ظل فى غيابه. الجبين العريض هو الملمح المشترك بينه وبين ابنته، وقرر أن يسأله عن عنوان مدفنها لعل السؤال يفتح موضوعا جديدا. خشى من أن تكون حصيلة اللقاء رؤيته رجلا ينخطف فجأة بعيدا عنه وتثبت عيناه على الحائط. الغرفة نفسها التي جلس فيها من قبل. وارتفع فيها صوته شارحا مسائل رياضية وشاعرا بالضيق من تململ رنا فى مكانها لمعرفتها ما يشرحه. لم يتوقع أبدا بعد انقطاعه عن الدرس أنه سيعود مرة أخرى إلى هذه الغرفة. كان يعتبرها من الأماكن التى يمر عليها الإنسان مضطرا ولا يتذكر سوى

سرعة مغادرته لها. فى كل مرة كان يتمنى انتهاء الدرس بسرعة ويشعر بأنه تورط فى عمل لا يحبه ولا يريده. لم يكن يجلس كجلوسه الآن لا يفكر فى مرور الوقت ويتطلع إلى الغرفة كأنها شىء غريب يراه لأول مرة وأنها كانت بداية حكاية لم ينتبه لدوره فيها إلا متأخرا. نهض من على كرسيه ثم جلس مرة أخرى. لم ينتبه والدها وظل سارحا فى الحائط. لا يتذكر أنه واجه موقفا كهذا من قبل: أن يجلس فى حضرة شخص لا يشعر بمن حوله ويستغرق فى عالم آخر لا يراه سواه. نظر فى الاتجاه الذى سرح فيه والد رنا كأنه يشاركه الفرجة على شىء معروض على الحائط. تذكر اكتشافه أن عدسة أبيه المكبرة لم تكن تعكس شيئا. ظل أبوه يقرأ بها إلى أخر حياته. ويردد ما يقرأه لأمه. ولا يفترض يحيى أن العدسة حزنت لموت أبيه فكفت عن العمل. لكنه يستطيع الاقتناع بأنها ساعدت أبيه فى سنواته الأخيرة على تخيل ما يريده وليس على قراءة ما أمامه.

لولا الورقة التى أعادتها ناهد له ما كان اكتشف أمر العدسة. لم يصدق أن رنا قرأت لناهد ورقة مكتوبا فيها طلبات منزلية. وقتها تشكك فى قدرة عينيه على رؤية شىء عائد من الموت وظن العدسة ستساعده على تفحص الورقة جيدا وتكبير الكلمات الغير واضحة. فلم ير سوى كلمات غائمة متموجة تحت العدسة. نظر إلى والدها السارح فى عالمه ورآه مثل عدسة أبيه لا يكشف عن شىء.

قلق يحيى من هذه الزيارة، فخروجه للبحث عما حدث يعنى البد، بفقدان الخيط الفاصل بين سيطرته على أفعاله وانفلاتها. قد. يكور

ذهابه إلى والدها تخففا من احتمالات كثيرة ممكن أن تمضى فيها الحكاية. وكان احتمال زيارة والدها أكثرها قربا من أن تضيف شيئا، فالاحتمالات الأخرى مازال يراها جديرة بالنفى ومناسبة لمن يدورون حول أنفسهم من الصدمة مثل: أن يركب المعدية ويتمثل حالة رنا وهى تفضلها عن بقية وسائل المواصلات. أن يذهب إلى الجامعة وبمساعدة ناهد يلتقى بزملائها. أن يزور مقبرتها ويختلى بنفسه فى رحابها. عدد الاحتمالات كمن يطمئن على وجود أملاكه فى مخازنها، وأن أيا منها لم يكسر القفل المثبت على الباب. لكنه بزيارته والدها شعر بالاحتمالات التى أقصاها عنه تتحمس ويدب فيها الأمل. وما الذى يضمن له ألا تتسرب من يديه واحدا بعد الآخر حتى يجد نفسه وقد استنفدها كلها عن أخرها.

كأن دهرا مر عليه وهو جالس يترقب عودة والدها. ضرب فخذه بقوة، لحظتها التفت الرجل ببطء إليه وحدق فيه

- أهلا وسهلا

قالها وكأنه يستطلع من الجالس أمامه

- أنا يحيى

قرر أن ينصرف بعدما ظل الرجل يحدق فيه. اضطر للخروج بمفرده من الغرفة بعدما ظل الرجل جالسا. فتح باب الشقة وقبل أن يغلقه سمع صوته يأتيه عاليا

- مع السلامة.

انتظر قليلا لكن الرجل لم يخرج. ونزل ببطء لعله يناديه مرة أخرى.

كم شخصا زاره حتى الآن؟ عمه وخاله وابن خالته. كلهم أبدوا قلقهم من حدوث مكروه لأمه. وظلوا طول وجوده معهم ينتظرون إعلان السبب الحقيقى أو المصيبة التى دفعته إلى زيارتهم بعد زمن يتراوح بين سنة وسنتين. وضحكوا عندما أخبرهم باشتياقه إليهم، وقال كريم ابن خالته فجأة كده اشتقت لى كان أكثر ما يضايقه إصرارهم على جلوسه معهم كلما هم بالانصراف. رغب فى أن يتركوه براحته، يذهب فجأة كما أتى. لم يكن قرب بيوتهم من بيت رنا السبب الوحيد لاتخاذ قرار الذهاب إليهم، لكنه بعد انتهاء لقائه بوالد رنا بشكل غير متوقع، وبينما يمشى فى الشارع شعر بأن الطاقة التى اندفع بها لزيارة والدها لم تشبع، لم تستنفد عن أخرها، لم يعجبه المشى حتى تهد قواه، رآه اختيار كل من يهيم على وجهه شريدا وحيدا لا يعرف ماذا يفعل.أراد أن يصرف الطاقة فيما لم يرغب فيه من قبل، انطلق يزور كل أقربائه الذين لا يخطر فى باله زيارتهم بلا سبب. ولم يكف عن الكلام معهم والضحك بصوت عال مبالغ فيه. تمنى أن يصرف تلك الطاقة التى تكفى لمقابلة كل من يعرفهم، وكل ما يتمناه ألا يرغمه أحد على البقاء. مرة واحدة وافق على أن يطيل جلسته عندما أخرج له ابن خالته صورة وقال له

– لقيتها من يومين

يحيى وهو صغير، تقريبا عشر سنوات ورأسه على السجادة وقدماه إلى أعلى.

– فاكرها؟

- ليلى

طلب يحيى من ابن خالته تصويره فى هذا الوضع ليرسلها الى ليلى بعدما انتقلت إلى محافظة أخرى.

كان كريم يتضايق من حبها اللعب مع يحيى أكثر منه فتحداه مرة فى حوش المدرسة أن يتخذ هذا الوضع واثقا من فشل يحيى، رفض فى البداية لأن رمل الحوش سيؤلم رأسه، وما إن قالت له ليلى ياللا حتى سارع يحيى باتخاذ الوضع مستمرا فيه فترة أطول مما توقعها الجميع. نظر له كريم يستحثه على مشاركته فى تذكر هذه الصورة ثم طلب منه أن يفضفض له زى زمان. حدثه يحيى - وهو ممسك بالصور

عن انشغاله بفتاة وإعجابه بطريقتها فى الإنصات له دون أن تستعجله أو تشرد منه

- امتى بدأت الحكاية؟

- من عشرين يوم بالظبط

- وبتقابلوا بعض كتير؟

- كل يوم

نصحه كريم بالتمهل وعدم التسرع فى حسم الموقف

- خد وقتك

أسهل نصيحة يمكن أن تقال، ولا تعنى سوى أن كل ما نقوله ونحن فى البداية مشكوك فيه مادام لم يمر وقت كاف، ولا أحد يعرف ما هو الوقت الكافى هل شهر سنة. سنتان؟ نصيحة لا تنظر إلى ما حدث بل تضع أمامه علامة استفهام مهما كان واضحا. ويرغب من يقولها فى

مساعدتك لكنه لا يفعل شيئا سوى التشكيك فيما تشعر به، وأنه مع مرور الوقت قد يحدث عكس ما قلته

لم يكن قول كريم أنا غلطان كافيا. طلب منه يحيى أن يتخيل الوقت إنسانا نؤجل دائما لقاءه ماذا سيحدث له؟ سينصرف عنا ويبحث عن صديق آخر أو سيبدأ في معاداتنا والتفكير في طريقة يقتص بها منا، وقد يوهمنا أنه مازال يصاحبنا وهو في الحقيقة يعد لنا انتقاما لا يخطر في بالنا. أثناء كلامه كان يلوح بالصورة، وأصر على الاحتفاظ بها ولن يتنازل عنها هذه المرة، فما يتذكره يحيى جيدا أنه عندما رآها منذ سنوات طلب الاحتفاظ بها بعدما ضاعت نسخته لكن كريم رفض. ولم يوقف جدلهما حول من يحتفظ بالصورة سوى رنين التليفون، مكالمة من بنت عمه تخبر كريم بزيارة يحيى، ولم تصدق أنه موجود عنده

- فاكرة صورته القديمة؟ ياخدها ولا تفضل معايا؟ آدي ليلي تانية واقفة في صفك.

أصر على العودة إلى بيته من هذه الجولة بأي شيء حتى لو كانت صورته تلك. عودته خالي الوفاض ستفسد عليه بقية اليوم وربما الأيام القادمة. كان يعول الكثير على لقائه بوالد رنا رغم ادعائه بينه وبين نفسه أنه لا ينتظر منه شيئا. وأزاد من إصراره تكلمه كثيرا في موضوعات لم يرغب في الحديث عنها سواء كلامه عن التعويضات أو أحوال العائلة ومن تزوج ومن سافر بالإضافة إلى دفاعه عن ضرورة

عدم تأجيل أى شىء التى أشهرها فى وجه كريم. الصورة الشىء الوحيد الذى رآه خارج كل هذا. وتخيل هو يضعها فى جيب الجاكت صعوبة إدخالها وظهور قدميه مرفوعتين فى الهواء من طرف الجيب.

لماذا عاد إلى بيت رنا؟ لا يعرف سببا محددا. ما إن خطرت فى باله فكرة العودة حتى اندفع ينفذها كما لو كان تذكر موعدا يجب أن يسرع لإتمامه.

طرق الباب. فتح له والد رنا

– أسف. نسيت ورقة عند حضرتك

سمح له بالدخول. وقاده إلى غرفة الجلوس. وقف يحيى عند الكرسى الذى كان يجلس عليه. وضع أصابعه فى الحز بين مسند الكرسى ومقعده. انحنى على الأرض ونظر تحت الكراسى. ثنى طرف السجادة، ونهض وثنى طرف المفرش.

– تبقى مصيبة لو ضاعت

– يمكن نسيتها فى مكان تانى

– دورت فى كل الأماكن اللى رحتها النهارده

– طيب اقعد شويه وخد نفسك

لم يكن يحيى قد قرر بالضبط ما الذى تحتويه الورقة، كان حائرا بين أن تكون خطاب توصية من شخص مهم ليعمل فى شركة أو مستخرج رسمى يحتاجه للوظيفة التى سيغلق باب التقدم إليها غدا.

وحتى يمنع أسئلة متوقعة من والدها انهمك فى عملية البحث دون النظر إليه. وأظهر كل علامات القلق بحركات من يديه والتفاتات سريعة إلى أنحاء الغرفة وتفتيشه جيوب البنطلون والقميص، وكلما تذكر حركة تساعده على إطالة الوقت يسرع بفعلها ويبحث عن غيرها فى ذاكرته، كأنه ما رجع إلا لإظهار قدرته على القلق وكيف يظهره بأشكال مختلفة

جيت مرتين فى وقت غير مناسب

– أبدا أكيد ناهد قالتلك إنى باسرح كتير وانا قاعد مع الناس. لدرجة إنى بانسى مين اللى جه عزانى وخرج من غير ما اسلم عليه

– قرايب حضرتك؟

– أيوه.

– وزملاء رنا؟

– ناس كتيره. تحب تدور تانى.

– كفايه كده. ولو لقيتها حضرتك اتصل بيا

عند خروجه من الغرفة وجد أمها تعبر الصالة.

– البقية فى حياتك

لم تجبه. وظلت تحدق فيه. لم يفهم يحيى نظراتها هل بسبب صدمتها فى وفاة ابنتها أم تحاول تذكره أم لا تتحمل وجوده؟ ربت والد رنا على ظهره لينهى الصمت الذى حل على المكان، وعلى عتبة السلم طلب من يحيى هامسا بالدعاء للأم كى تزورها ابنتها فى المنام رى ما

زارتنى وردد "آمين ودخل الشقة بسرعة.

استبعد يحيى فكرة زيارة أقربائه مرة أخرى فى نفس الليلة. سينتظرون أن يلقى عليهم بخبر المصيبة التى كتمها فى الزيارة الأولى أو سيتحول الأمر إلى نكتة عمن يؤدى فى ليلة واحدة كل الزيارات المؤجلة. لم يقتنع بحجة نسيانه الورقة لتصير الغطاء الذى يمرر تحته غرابة ما يفعله. كانت حجة مقنعة له عندما اندفع وراءها ليعود إلى بيت رنا أما تكرارها عدة مرات فأشبه بالاستمرار فى تمزيق ورقة إلى قطع صغيرة حتى يصعب معرفة ما كان فيها.

مازال راغبا فى التحرك. كأن المسافات بين الأماكن لم تظهر له إلا فى هذه الليلة وعليه أن يقطعها بحماس من يجرب شيئا جديدا أول مرة. منذ سنوات لم يمش يحيى مسافات طويلة. صار ينجز مشاويره بأسرع طريقة ممكنة لكنه مع أى صديق محب للمشى كان يتذكر الأيام التى كان يمشى فيها ساعات ويترك نفسه لطرق جانبية لا يعرفها ويسعد عندما يجدها تتفرع إلى طرق أخرى تبعده أكثر عن الشارع الرئيسى.

من بين كل من عرفهن صديقة واحدة فقط كانت تحب المشى. تعرف عليها بعد الجامعة وكانت المشكلة أنها ظهرت فى حياته بعدما ضعفت

داخله تلك العادة، وحتى لو كانت علاقتهما مستمرة فمستحيل أن تقابله الآن ليتمشيا بعد منتصف الليل ويعوضها عن كل المرات التى رفض فيها التمشية معها مسافات طويلة وستقول له مش وقته مستخدمة حجته التى رددها كثيرا. لم يسبق له أن ماتت صديقة من صديقاته. ولم يكن الفراق بينه وبين أية واحدة صعبا. وغالبا ما كان برضاء الطرفين وعلى وعد أن يظلا صديقين. لكن الصداقة مستحيلة بين اثنين تأكدا أن وجودهما معا صدام وليس حبا رأى نفسه فى كل علاقاته السابقة شخصا يتأهب للمغادرة وليس للبقاء والاستمرار فى العلاقة إلى أبعد مدى. ومن أهون خلاف كان يشعر بأن النهاية أوشكت. كان فى تعامله مع الخلافات أشبه بمن يتراجع عن إتمام الرحلة لأن هناك وقتا يجب قضاؤه فى السفر ومسافات يجب اجتيازها. تذكر يحيى أنه رفض رسم شكل الشقة التى يحلم بالزواج فيها، وقال لزميلته فى الشركة ما باعرفش أرسم لم تطلب منه أن يكون ماهرا فى الرسم، كل ما طلبته أن يشاركها الحلم حتى بخطوط متعثرة ومفسرة بكلمات تكشف مدى حبه. وحتى تقنعه أكدت له أنه سيحتفظ برسمه ولن تصر على الاحتفاظ به. أصر على عدم الرسم كأنه كان سيوقع على عقد لن يستطيع الفكاك منه. وظل يصف لها الشقة التى يحلم بها وهى تطوى الورقة الفارغة أكثر من طية ثم تفردها وتطويها مرة أخرى.

توقف أمام محل تصوير. الواجهة مضيئة بالنيون. وتعرض صور الزفاف ووجوه فتيات مبتسمات وأطفال ارتدوا زى الضباط. وخلف كل هذه الصور صورة لساعات مفككة ومتناثرة تروسها وعقاربها وأرقامها. ضبط يحيى وجهه المنعكس على الصورة بحيث صارت إحدى عينيه منطبقة على ترس، ولم تنطبق بقية ملامح وجهه على أجزاء الساعات الأخرى، بالكاد حاذى فمه أستيك ساعة وبدا طرفه المدبب جرحا فى خد يحيى. يتساوى إن كانت صورة لساعات جديدة قبل تجميعها أو كانت قديمة لا فائدة من استخدامها. نظر إلى كل الصور فى الواجهة، واحدة فقط كانت خلفيتها الساعات المفككة ويظهر فيها شخص يحمل كاميرا التصوير. فجأة أضاء المحل من الداخل ووجد يحيى أمامه رجلا ينظر إليه من خلف الواجهة. أشار يحيى مباشرة إلى صورة الساعات مرددا بكام دى؟ لم يسمع الرجل ما قاله وخرج له

- انت اللى مصورها

- لأ. كانت فى المحل لما اشتريته

عايزها خلفية للصورة دى

وأخرج يحيى الصورة من جيبه. وابتسم الرجل

إبنك؟

- حاجة زى كده

- يعنى إيه؟

- صورتى وانا صغير

- الأحسن الخلفية تكون كده

مشيرا إلى صورة طفل يرتدى زى ضابط ويبدو خلفه ميكى ماوس يغمز بعينه وسوبرمان ينطلق طائرا إلى أعلى. وشرح الرجل له أن معظم الأطفال يحبون هذه الخلفيةولو كان يحيى مكانهم لاختارها، بالإضافة إلى أن رجليه المرفوعتين إلى أعلى في الصورة - ورسم الرجل رقم ٧ فى الهواء - مناسبتين ليكونا إطارا لسوبرمان. أما الساعات المفككة

- ممكن تنفع لصورتك وانت كبير

- حتخلص الصورة إمتى؟

- بكره.

وأكد عليه يحيى أن تكون صورة الساعات واضحة بأكملها فى الخلفية. ظل الرجل غير مقتنع وطلب من يحيى ألا يتردد فى الاتصال به لو غير رأيه

- وخلى الكارت ده معاك

مطبوع عليه عدد كبير من الشخصيات الكرتونية ويهديه لكل

الأطفال الذين يصورهم.

تفهمت ناهد إصراره على معرفة ما قالته والدة رنا بالضبط. لا تريد أن ترى يحيي مرة أخرى. وأكمل زوجها

– ولو لقينا الورقة حنديها لك

قالها بنبرة من ينهي علاقة مع شخص تأكدت الشبهات التى دارت حوله.

تمنى يحيي لو كان استمع لكلامهما بنفسه وتأكد من والدتها أنه الشخص المقصود. رآها فى الزيارة الثانية. لم يتصادف أن تقابلا عندما كان يدرس لرنا، بالكاد سمع صوتها وهى تنادى رنا لتتناولها أكواب الشاى. كعادتها طلبت منه ناهد أن يتذكر جيداً فربما قال أو فعل شيئا فى الزيارتين ونسيه.

حاولت ناهد معرفة السبب. وأطالت البقاء مع والدة رنا. لكنها لم تستطع الوصول إلى شيء. كلامها قليل، فهى من الأمهات التى تكون نظرة عينيها جملة واضحة تكشف عما تريد قوله، وكان الشيء الوحيد الذى جعلها تتكلم أكثر من المعتاد هو عدم رؤيتها ابنتها فى المنام، وفسرته بأن رنا إما غاضبة منها أو ليست مرتاحة فى موتها. وكانت السيدات الجالسات معها تطمئنها بأن رنا ستزورها، ويرددن أمثلة لمن

تأخرت عليهن الزيارة شهورا وظنن أنهن سيحرمن منها نهائيا ثم يستيقظن يوما وهن غير مصدقات من شدة الفرح بتحقق الرؤية. فالأسباب في علم الغيب ولا تخطر في بال أحد. إستمعت ناهد لحديثهن أكثر من مرة ودائما كانت الأم تكرر التفسير نفسه. طمأنتها ناهد مرة بأن زيارة رنا لوالدها بشرى خير، فنظرت لها الأم غاضبة وسألتها عمن قال لها فأجابت ناهد مباشرة يحيى

أعلنت الأم قرارها بعدم رغبتها في مجيء يحيى مرة أخرى بعدما تحدثت عن رؤيتها رنا أخيرا بعد ثلاثة أسابيع من رحيلها لم تقل بالضبط ماذا رأت واكتفت بأن رنا كانت تنظر لها دائما طول الحلم. وقبل أن تنصرف كررت ناهد سؤالها عن سبب غضبها من يحيى، لم تجبها الأم ونظرت لها بما يعني انتهاء الموضوع ولا كلام آخر. وتثق ناهد في أن غضبها سببه شيء ما رأته في منامها وربما تكون قد رأت يحيى نفسه.

فكر في مسارات كثيرة لهذه الحكاية ولم يتخيل أن يصير مدانا بسبب حلم شخص لم يره سوى مرة واحدة. ولم يسبق ليحيى أن ظهر في أحلام فسرها أصحابها على أنه نذير شؤم، بالكثير كان وجوده إشارة إلى مشكلة ستحدث له، هذا ما سمعه من أمه وممن كن على علاقة به. وأكد – بحماس فاجأه – أن الناس سيمضون في الدنيا

يعرفون ماذا يفعلون إذا اتخذوا القرارات من الأحلام ، وتأتى لحظة تتأخر فيه ردود أفعالهم لأن الحلم لم يكشف بعد الخطوة التالية. لم تشاركه ناهد فى ضيقه، فما حدث دليل على أن الحكاية لم تنته ودليل على أهمية دور يحيى. وستساعدها حيلة الورقة على التحدث مع والد رنا، لكن لا بد أن تكون ورقة مهمة جدا. المكتوب فيها صعب تعويضه أو مستحيل الحصول على نسخة منه. لم تقترح أى موضوع لهذه الورقة، استمرت فى وصف ما ينبغى أن تكون عليه كأنها تريدها أن تكون سر كل شيء لدى يحيى، وبدونها لن يستطيع إكمال حياته.

طلب من ناهد التوقف عن الكلام فى هذا الموضوع. دورها كوسيط بينه وبين رنا ووالديها رآه يضيق عليه الطريق أكثر من أن يدله على ما لا يفهمه. لا تأتيه إلا بما يزيد حيرته: ورقة، حكى رنا لها كل شيء بالتفصيل، غضب الأم. كأنه هدف ثبتته ناهد أمامها لتصوب نحوه كل ما لديها من معلومات، وما عليه سوى أن يطمئنها على قدرتها على التصويب.

بسط أحمد كفيه، فى إشارة أن رنا فى كف و مكتب عبد المجيد فى الأخرى

- وما تقدرش تعيش دلوقتى إلا بالاتنين

فيحيى ليس مدربا على العيش بذراع واحدة مادام الأخرى موجودة، ولو استطاع فستظل الذراع الثانية تشعره بوجودها، وتلقائيا دون أن ينتبه سيجد نفسه يحرك ذراعه المهملة ويستخدمها وهو يتكلم، ويجد حركتها أفضل ما يصاحب كلامه. وليس شرطا أن تنعقد الذراعان معا حتى يشعر يحيى برابط بينهما، فلو ظل عاقدا ذراعيه لن يستطيع التحرك براحته، وسيتمنى فى النهاية لو تخلص منهما ليزيح هذا العبء عن صدره. وعليه ألا يخاف أن تشغل كل ذراع جانبا منه فعندما سيحتاجهما معا سيسارعان بالإمساك بما يريده، ويقربانه منه دون حتى أن يتلامسا. بدا تأرجح كفى أحمد خلاصة ما فكر فيه منذ أخر مرة التقيا فيها.

لم يسأله يحيى عن العلاقة بين أى شيئين. كان يحكى عن ضيقه من العمل مع عبد المجيد وقلقه من المندوبين وتوقعه هجوما آخر سيحدث أيضا فجأة.

كان أحمد صاحب الاقتراح أن يتمشيا فى وسط البلد فلم تكن لديه رغبة فى الجلوس فى شقته أو فى غرفة يحيى، بالإضافة إلى أنه فى أى منهما لم يكن سيستخدم ذراعيه بهذه السهولة لشرح فكرته. صفق

بكفيه فجأة. وظن يحيى أن صديقه عثر على فكرة أخرى سيشرحها بالتصفيق وربما ستكون المخرج النهائى لكل مشكلاته ومشكلات من يمشون فى الشارع، ومنهم من التفت إليهما ظنا أن هناك من يريد أن يوسعوا له الطريق.. لم يقل أحمد شيئا وبدا التصفيق مكافأة لنفسه على ما قاله وتشجيعا لذراعيه. توقف أمام فاترينه

- اختار لها حاجة

وشد يحيى إلى داخل المحل وطلب من البائع أن يريهما زجاجة برفان. حاول وهو يجرب أكثر من زجاجة إقناع يحيى بالشراء. قرب زجاجة من أنف يحيى ثم من أنفه وهو يشرح أنه ليس مهما معرفة نوع البرفان الذى تفضله رنا، بل الأهم إقناعها بأنه شعر بها وهو يشم هذه الرائحة، وتمنى لو كانت معه لحظتها. رأى يحيى نفسه وهو يزور مقبرتها حاملا الزجاجة ويتحير بين رشها على القبر أو وضعها فوقه، والاحتمال الأخير لا يعنى سوى أن يأخذها أحد فور انصراف يحيى، أما رشها فسيساعده على تشمم الرائحة التى ستغطى المكان.

نظر أحمد إلى السعر الملصق على العلبة بينما خرج يحيى

- ممكن أدفع جزء

وأخرج النقود من جيبه، وأشار بها إلى يحيى ليدخل ويكمل المبلغ.

بدت عليه الحيرة بين البقاء مع الزجاجة أم الخروج لإقناع صديقه. استأذن البائع الذى هز رأسه وهو يضع الزجاجة فى العلبة ويعيدها إلى الرف. رآه وهو يخرج من المحل مثل ناهد يتعجل أحداثا جديدة فى حكاية رنا، ولا يرضى مثلها بالاكتفاء بالكلام عما حدث، وإن اختلف عنها فى أن اقتراحه يطيل عمر العلاقة فى حين تريد ناهد الوصول إلى نهاية، إلى وضع كل شىء فى إطار وإكمال الفراغات. ومع شعوره أن كليهما يلبى جزءا منه إلا أنهما صارا يراقبانه ليعرفا كيف سيتصرف أو ليدفعاه إلى أى تصرف. ويحتاج إلى الابتعاد عنهما أياما.

إزاى بتعرف تنام؟

تمنى يحيى لو كان هو صاحب السؤال، ونطق به بالطريقة نفسها أن يصمت فجأة ثم يسأل دون أمل فى إجابة. سؤال خرج من تلقاء نفسه ليسمعه أى أحد. لم يخيب كريم ظن يحيى فأكمل كلامه دون انتظار رد. اشتكى من الزحمة وأنه احتاج لأكثر من ساعتين حتى يجىء، وأن المسافة كانت ستقصر لو رضى أبو يحيى بالشقة المواجهة لأسرة كريم. لم يفهم أحد وقتها السبب فى رفضه الشقة، كان الإيجار قليلا وتطل على الشارع

- وأوسع من شقتكو ديه

لم يعترض عليها أبوه، وأكد ضرورة الفرجة على شقق أكثر قبل الإستقرار على واحدة. واقتنع الجميع أنه رفضها لقلة كلام صاحبها الذى كانت إجاباته مختصرة، على عكس صاحب العمارة اللى انتو فيها كان يرد على الحكاية بحكاية وصارا صديقين.

- عموما الشقة حظها غريب

تغير سكانها كثيرا. ما إن يغادر ساكن حتى يأتى آخر بسرعة. وصار بعض الجيران يتذكرون أسماء من سكنوها مقترنة بمدة سكنهم، ويختلفون أحيانا من منهم ظل وقتا أطول.

تذكر يحيى أنه عندما كان يذهب مع أمه لزيارتهم كانت خالته تردد وهى تشير إلى الشقة

- كان الباب حيبقى قدام الباب

أحس يحيى فى كلام كريم بنبرة من لم ينم يوما أو أكثر، ويتسرسب منه الكلام عن الشقة دون قدرة على التوقف عنه.

- فى شقق كده مش عشرية

بالرغم أنهم ظنوا أخر ساكن سيصمد ويستمر فيها إلى الأبد، فالتغييرات التى أجراها كلفه الكثير وقضى وقتا طويلا فى إقناع

صاحب العمارة بفتح غرفتين على بعض وفى النهاية لم يظل فيها أكثر من عامين. قابله كريم مرة أمام باب الشقة، فحدثه الساكن - كأنه يكمل حوارا كان بينهما - أنه اعتاد على هذا، فلن يعثر على المفتاح إلا بعد تفتيش كل جيوبه وتقليب الميدالية كثيرا

- لو لقيت المفتاح بسرعة ما تبقاش شقتى

انتظر يحيى أن يربط ابن خالته الشقة بأى شىء يعانى منه، مقدمة لكلام آخر سيقوله لكنه استمر فى حديثه عن الشقة كأنه واحد ممن رحل عنها سريعا. انتظاره لموضوع آخر ذكره بطريقته المعتادة فى المكتب بإنجاز الأشياء بسرعة، وإنهاء الكلام مع المندوبين دون استطرادات. المختصر المفيد. طريقة أبعد ما تكون عن حالة كريم وعن استغراقه فى الشقة. نفى يحيى أن يكون كريم تسبب له فى أى إزعاج، وطلب منه التكلم براحته، ولا يحسب حسابا للوقت، ويمكنه البيات معه الليلة ليقول كل ما عنده فلن يذهب يحيى للشغل غدا

تخيل كريم لو كان من يسكن هذه الشقة يدخلها للنوم فقط، لن تستطيع أن تطرده فهى لا تراه إلا نائما، ولا تسمعه يتكلم فيها ولا يعلق على أى شىء، ولا يهتم بتنظيف أى جزء فيها إلا السرير الذى ينام عليه. ستحاول إقناعه بأن النوم فيها لا ضرورة له، لكن كيف تنقل

له هذا وهو نائم؟ لابد أن تتسلل إليه فى أحلامه، المشكلة لو كان مثل يحيى لا يتذكر أحلامه فستعجز عن التصرف معه، وسيظل موجودا فيها حتى يستيقظ يوما متذكرا حلمه.

رأى يحيى ابن خالته يزور الشخص الذى أدى كل الزيارات العائلية المؤجلة فى ليلة واحدة، لولا هذه الليلة ما كان سيفكر فى زيارة يحيى وهو فى هذه الحالة بهيئته المتعبة وعدم قدرته على النوم.

ماذا كان يحيى يريد من أى شخص يستمع لحكايته؟ كل الإجابات التى فكر فيها نفذها مع ابن خالته. الإصغاء وعدم التسرع بقول تعليقات تشتت التركيز وأن يتذكر أشياء مماثلة لحالة الشقة. تحدث يحيى عن مكتب عبد المجيد. مكان بطبيعته طارد للمندوبين، فكل واحد يراه محطة مؤقتة حتى يجد عملا يرحمه من اللف والدوران فى الشوارع وحمل حقائب البضاعة. ولا يعنى نجاحه فى التوزيع سوى الشعور بأنه يستحق عملا أفضل. ويتكلم المندوبون الناجحون عما وزعوه باستهانة، وأنهم يستطيعون تحقيق أكثر من ذلك لو أتيحت لهم الفرصة. يقولون هذا كأنهم يخاطبون مديرى الأعمال التى يحلمون بها ويعرضون عليهم ما يملكون من قدرات. وبتكرارهم لهذا الكلام يبدون أنهم يتكلمون مع أنفسهم حتى لا ينسوا ما يحلمون به. وتذكر يحيى

نبؤة صديقه أحمد بمجيء لحظة سيعمل فيها الجميع مندوبين، وتخيل أنهم سيحلمون وقتها بلقاء شخص ليس مندوب مبيعات، ولو قابلوه سينظرون إليه أنه قادم من كوكب آخر ولن يبيعوه شيئا، سيكتفون بتأمله ومتابعة كيف يتكلم ويمشى دون التفكير فى بيع أى شيء. طلب منه كريم الاستمرار فى الحديث عن مكتب عبد المجيد لكن يحيى أصر على أن يكملا الحديث عن الشقة. وسأله عمن يسكنها الآن

– ما فيش حد. باعها صاحب البيت لواحد بيشتغل بره

وبالتأكيد تفكر فى طريقة لتجعله بره على طول

دخلت أمه حاملة العشاء. كان واضحا سعادتها بزيارة كريم وترحيب يحيى به. تذكرت الشقة وتمنت لو كان أبوه وافق على استئجارها. ولو عادت الأيام ستتمسك بها أكثر وسترفض تأجيل الأمر للفرجة على شقق أخرى. لوهلة احتدت نبرة صوتها وبان إصرارها على إقناع أبيه والرد على كل كلامه وعدم التراجع مهما طال النقاش. وعدها كريم بالوقوف إلى صفها ومساندتها، وفعل أى شيء حتى لا ترحل عن الشقة سريعا. انتظر يحيى أن تترقرق الدموع فى عين أمه كعادتها حينما تتذكر أباه لكنها استمرت فى الكلام كأنها تعد نفسها لمناقشته عندما يعود.

فتح الباب. دخلت ناهد بسرعة. لم تدع له فرصة للتفكير. صار لا يرد على مكالماتها. فى أخر مكالمة بينهما شرح لها حاجته للبقاء بمفرده فترة. لا يشتته فيها أحد ولا يسمع اقتراحاتها ورسائلها. قاطعت شرجه ولامته على تركها وحيدة مع حكايتهما دون أحد تتحدث معه. واندفعت تصور مشكلتها بابتعاده عنها كتير اتنين يموتوا. كفاية رنا

اعتذرت عن جملتها وشتمت نفسها وعدم قدرتها على اختيار الكلمات وقبل عثورها على جملة أخرى أنهى يحيى المكالمة.

- عرفت انك واخد أجازة من الشغل

أخبرها عبد المجيد وسألها بتاخدى درس معاه فأجابته أن يحيى دائما أستاذها. شرح يحيى لها غاضبا أن عبد المجيد يقصد هل تنام معه أم لا. لم يتحكم فى غضبه من اتصالها بالمكتب وتكلمها مع عبد المجيد. اقتربت منه. عانقته وأراحت رأسها على صدره. تباطأ وهو يرفع ذراعيه ويضمها إليه. ظن إنها تعانقه لتصالحه ثم تعود إلى الكلام عن رنا وعما يجب أن يفعله وضرورة أن يخطوا خطوة أخرى. لم تمنع يده وهى تخلع عنها ملابسها. نظر إلى السرير كأنه يسأله هل سيقبلهما أم سيشهر جسد رنا أمام عينيه حتى يعجز عن فعل أى شيء. سبقته ناهد وتمددت على السرير فى البداية ظل يراقب جسده

وهو يخطو أول خطوة له منذ الزيارة. تنقلت شفتاه بين حلمتيها المنتصبتين اللتين شغفا بهما يوم ارتدت البلوزه وبحث عن مرآة رأتها رنا فى غرفته. أبعد عن تفكيره أن ناهد فاجأته لتدفع الحكاية إلى الأمام، لترى ما ستفعله رنا وقد اجتمعا على السرير نفسه. لم يقد أى منهما الآخر. تناغمت حركاتهما وبدا جسداهما خبيرين ببعضهما، واتفقا دون كلمة على أن يطيلا الوقت. توقع فى ذروة انتشائهما أن تلفظ ناهد بأية كلمة ترتبط برنا. بالموت. تخيل نفسه وهو يعرف بعد ذلك أن ناهد لم تكن إلا ميتة وقد أكملت ما بدأته صديقتها. ضمته بقوة وأزاد هو من ضغطه ليبتعد عن خياله. وشعر بأن قدرة جسده على ألا ينتهى سريعا إنما من طول ما أبعده من ظنون وهواجس. لم يكن فى حاجة إلى تحذيرها من الكلام عن حكايتهما عندما انتهيا. ظلت ناهد صامتة محدقة فى الحائط حيث رأت رنا مرآة.

ما إن استيقظ حتى رأى المعدية على الحائط. نزل من السرير ووقف وسط الغرفة ليتأكد من أنه لا يحلم. وعندما شك أنه مازال فى الحلم خرج من غرفته وعاد إليها وفتح الشباك وأطل منه. مستحيل أن يكون فى حلم إلا إذا كان من الأحلام التى ترى نفسك فيها وأنت تحاول أن

تستيقظ وتتخلص مما تحلم به. كل الأوصاف التى قالتها ناهد عن المعدية رآها على الحائط: جزء للركاب وجزء للحيوانات وعربات الكارو، واصطفت السيارات فى الممر ولمح قططا تدور فى المكان كأنها أتت عن طريق الخطأ. كلهم بدوا شهودا على وجود المعدية فى غرفته دون أن يقدر على سؤال أى منهم. ورأى يحيى ركابا ينظرون فى اتجاه الحائط المقابل كأنهم يفكرون فى سر وجوده ومتى ارتفع وكيف ستستمر الرحلة مع بقائه، بينما انشغل آخرون بالنظر إلى أعلى حيث من المفترض أن تكون سماء فلم يجدوا سوى سقف بمصباحه المطفأ.

دق حيى بيده على الحائط لكن المعدية ظلت واضحة عليه. رقد على السرير وظل ينظر إليها. معدية رفض الذهاب إليها وجدها تظهر له فى غرفته، وكأنها لم ترض عن قراره بعدم الذهاب إلى آخر مكان كانت فيه رنا على قيد الحياة. دقق النظر فى كل الوجوه لم يلمح رنا بين الركاب. وما الفائدة إذا لم تكن موجودة؟ هل تكبدت المعدية مشقة المجىء إليه بكل ما تحمله لتعرض فقط ناسا وحيوانات وسيارات يستطيع أن يرى مثلهم فى الشوارع كل يوم. وربما كان سيرضى عن وجودها لو كان من فوقها يتحركون ويتكلمون لكنها صورة ثابتة، ويدفعه ثباتها إلى تحريكها والى أن يموج الماء تحتها. حاول التأكد مرة أخرى من انه

ليس فى حلم. اقترب من الحائط ورفع ساقه ليركب المعدية فاصطدمت ركبته بالحائط ولم يهتز أى شىء فوقها. وحتى لو استطاع ركوبها ماذا كان سيحدث؟ هل كانت ستتحرك به أم سينضم إلى الثابتين على الحائط؟ كل من حدثوه عن أحلامهم انشغلوا بوصف ما رأوه فيها وبالمعانى التى فهموها ولم ينشغل واحد منهم بوصف ما فعله ليتأكد من أنه لا يحلم. لو كانت ناهد معه لأكدت أنه ليس حلما وفى الوقت نفسه ستنتظر أن تتحرك المعدية بعدما تمتلئ الأماكن الشاغرة بالركاب، وربما نظرت فى ساعتها - كما يفعل يحيى الآن - ورددت الوقت بصوت عال كأنها راكبة قلقت من تأخر المعدية عن التحرك. لن تجيبه ناهد عن سؤاله لماذا لا تظهر رنا بين الركاب، وستطلب منه أن يتذكر جيدا لحظة استيقاظه فقد تكون رنا غادرت فى اللحظة نفسها. ابتعد عن الحائط وأعاد التفكير فى عدم ذهابه إلى المعدية. ربما كانت ساعدته رؤيتها على تذكر شىء نسيه فى هذه الحكاية. مثل ماذا؟ أن تكون رنا اختارته ليفعل شيئا لم تستطع فعله. لكنه لن يستطيع معرفة لماذا ماتت مبكرا ولن يستطيع أن يحقق ما حلمت به فهو لم يكن قريبا منها حتى يعرف أحلامها. وهل عدم رؤيته لها بين ركاب المعدية حلم من أحلامها. حلمت بألا تكون من بين من غرقوا وإذا كان هذا حلمها

فكيف يحققه لها وهولا يستطيع تحريك المعدية التى فى غرفته ولا حتى ضمان استمرار بقائها. كل ما يستطيع أن يفعله الآن لو رأى رنا تجرى لتلحق بتلك المعدية أن يمنعها من الركوب ويخبرها بأنها ستغرق. وكيف سيمنعها؟ تحركت يده دون تردد لتكشط كل الأماكن الشاغرة فوق المعدية وتمنى أن تتحرك فور انتهائه.

يمعن الصياد التفكير فى الكيفية التى يصيد بها طريدته ويحسب لها ألف حساب، ويركز فيها على قدر استطاعته لعلمه أنها لن تسلم نفسها له طواعية. وقد يفكر الصياد فى كل شىء يحيطه على أنه احتمال مساعد له فى عملية الصيد، سواء صغر الشىء أو كبر: من سن القلم إلى مسمار إلى فرع شجرة. الأشياء فى عينيه تأخذ شكل مفردات عالم الصيد حتى النوم قد يفكر فيه على أنه وسيلة ليظفر بصيده. كأن طريدته صارت فى كل مكان وفى كل وقت.

"الصياد" من الطرق الأخيرة فى الكتاب ولم يتبق على "ألف طريقة وطريقة" إلا صفحات قليلة. يستطيع الانتهاء منها الليلة لكنه مازال وفيا لنصيحة الكاتب بأن يتمهل ولا ينهيها بسرعة كإنهائه العمليات الحسابية: رقم يضاف إلى رقم والتأكد من أنك لم تنس رقما والناتج

أرقام تتباهى بتذكرها وقت الحاجة وتصير كل ما تملك من ذكريات.

طول تفكيره فى الأرقام دفعه إلى البحث عن رقم التليفون الذى قالته رنا، وعرف أنه تليفون شقة ناهد القديمة. اضطر إلى رفع اللوح الزجاجى من فوق المكتب ليصل إليه.

وصله أولا وشيش. لم يأته أى رنين

- ألو ألو

تردد صدى صوته يطمئنه على أنه تكلم

أتاه صوت رجل.

- رنا سابت لى الرقم ده

- اتصل بتليفون بيتها

- مش موجودة هناك

- نفس إجابة اللى اتصلوا قبلك

- كم واحد اتصلوا؟

- مش فاكر. وافرض سألتهم كلهم حيساعدوك بإيه؟ مادام مش عارفين زيك هيه فين.

صمت. وسمعه يشعل الولاعة وينفث دخان السيجارة. سأله يحيى إن كانوا كرروا الاتصال به. طبعا وكلهم يثقون أنه مازال يخفى سرا

وسيدفعه كثرة اتصالاتهم به إلى الكشف عن كل شيء.

– تخيل إنك مطلوب لصداقة زى ما يكون مطلوب القبض عليك

ولا يتذكرون أنها هى التى أعطتهم رقم التليفون وليس هو، ولم تعرفهم حتى باسمه.

– كل اللى تعرفوه عنى رقمى

– وما غيرتش رقمك ليه ؟

– عشان مستنى مكالمة مهمة. ويمكن عشان وعدتها

علت ضحكة الرجل وتخللها سعال شديد واندغمت كلماته. ما إن قال لو كنت مكانك حتى ترقب يحيى هفوة تكشف أنه واحد منهم. من تلك الجماعة التى تمضى فى حياتها كما اعتادت وتنتظر كل لحظة إجابة على أسئلة لا يستطيع احد أن يساعدها فيها.

– لو كنت مكانك كنت فكرت إنها زى حاجات تنتهى من غير ما ناخد بالنا.

كلمات أشبه بمن يعطيك حكمة تتلهى بها حتى تستقر على قرار. لو كان سمعها فى البداية ربما كانت ساعدته أما الآن فيجدها نصف الحقيقة، والنصف الآخر كل ما حدث بعد الزيارة، ويحيى الذى يصل النصفين مع أن كلا منهما يمضى عكس الآخر.

- كررت الكلام ده لكل اللى اتصلوا لغاية ما بقيت أحس إنى مسؤول عنكو

- ممكن نتقابل

- شكلى مش حيضيفلك حاجة

وسخر ممن سبقوه فى الحديث معه. كلهم طلبوا نفس الطلب كأنه سيعوضهم عن رنا أو سيرون فيه صورتها. وربما يفعلون هذا مع أشياء كثيرة فى حياتهم، ينظرون إليها على أنها تشبه رنا فى شىء ما أو يتخيلونها وهى تلمسها، تمسكها، تكسرها، ويطيلون الجلوس مع شخص قال شيئًا ذكرهم بها. ويظنون أن كل ما يتخيلونه سيقرب لقاءهم برنا. كلمات الرجل توحى برغبته فى إغلاق الموضوع نهائيا، والتخلص من الذين يزعجونه وربما أدخلوه فى حكايتهم رغما عنه، لكن استمراره فى التكلم دون إنهائه المكالمة شجع يحيى على مواصلة الحديث. فقد يرفض الإنسان هدية ويطيل اعتذاره عنها وهو ممسك بها لعلها تصير له فى غفلة من الجميع. تفكيره فى هذا التشبيه دفعه لسؤال الرجل عما إذا كان أطال المكالمة أكثر من اللازم

- لأ. بالعكس. مش دى المشكلة

وسمع يحيى تكة الولاعة. خامس سيجارة يشعلها منذ أن تكلما.

كرر بالعكس وصمت. تركه يحيى مع سيجارته واقترب من الدولاب واضعا السماعة بين كتفه ووجهه. أخرج البلوزة

– ألو

نطق بها ما إن سمع صوتا لم يتبين إن كان زفير الدخان أم بدء بكاء مكتوم.

– ألو

منذ بداية هذه الحكاية لم ير أحدا يبكي على رنا أو بسببها. دخل الحكاية بعدما انتهى فاصل البكاء، ومسحت الوجوه دموعها وبدأت تحدق فيه. نفى الرجل أنه كان يبكي، وتحدث عن عدم معرفته متى تنتهي هذه المكالمات، وتوقع اتصال آخرين به يفتشون لديه عن رنا، ويظنون صمته إخفاء معلومات عنها، ولا يفكرون في أنه صمت ليجمع التفاصيل التي تراكمت لديه من كلامهم، ويحاول تخيل من تشغلهم ويصرون على معرفة المزيد عنها. انطلق الرجل في حديثه بينما يحيى يكرر ألو كان الصوت يصله واضحا ولم تفته كلمة لكن الصوت صار صوت رنا. أمسك بكلتا يديه السماعة كأنه يقبض على سماعتين تتعاركان على أذن يحيى ويأتيه الكلام نفسه منهما معا. تدريجيا تناوب الصوتان على صدى الصوت، وكلما علا الوشيش عند تبادل موقعيهما يصيح يحيى ألو

– واضح كده؟

– واضح

واصل إنصاته. وحكى – حكت – له عن الذى عاد إلى بلده بعد أن انفك السحر عن الطريق، وما كان يعيشه فى لحظة صار يمتد يوما. ما كان يغفل عنه لأنه أقل من التوقف عنده صار يراه واضحا يشد إليه الانتباه. ولا يقتصر الأمر على الأماكن بمساحاتها التى كانت من قبل لا تُرى وصارت الآن شاسعة بل امتد إلى الأشخاص أيضا. سأل واحدة منهم عن حياتها وقت كان المكان مسحورا، لم تفهم ما الذى يعنيه بالمسحور، وحكت أن حياتها مضت طول الفترة الماضية على منوالها، وأى شىء غريب حدث فيها فهو من طبائع الأمور. أما السحر. لا، لم يحدث. ودعته إلى التأكد من الناس حوله فربما كان هو المسحور، ولم يقدر على رؤيتهم جميعا، وهذا أيضا من طبائع الأمور. فالمسحور يظن دائما أن الآخرين هم من سحروا خاصة لو ظلت حياته تمضى على منوالها.

– سامعنى؟

– أيوه

لم يعرف يحيى من سأله هل الرجل أم رنا أم أحد المسحورين أم أمه تسأله انت أجازة النهارده؟ أجابهم كلهم بالكلمة نفسها. وما إن قالها حتى تلاشت أصواتهم كأن إجابته كانت الموافقة على صمتهم.

هذه الرواية

سمع من قبل أشخاصا يرددون أن شيئا ما: لقاء، صدفة، كلمة عابرة، قرارا، كان نقطة تحول فى حياتهم صاروا بعدها أقدر على فهم الدنيا. وكان يحيى يرى كلامهم مبالغات يحاولون بكل الطرق إعادتها إلى أرض الواقع ليقتنع المستمعون بها، فحياة الناس من حوله لا تتيح سوى توهم نقاط تحول، وكل شخص يحاول على قدر استطاعته تصويرها لنفسه و للآخرين على أنها بالفعل أحدثت الكثير.

صارح نفسه بأن هذه الزيارة لو حدثت لهؤلاء الأشخاص لاستطاعوا التعامل معها بسهولة، خاصة لو كانوا يؤمنون بالمعجزات سواء أثرت فى حياتهم أم لا، أما يحيى فيرحب بالمعجزات بشرط أن تتضح فى حياته لا أن يضمرها ويواصل العيش كما اعتاد. وحتى لو ارتضى بإخفاء ما حدث داخله فسيظل ضيقه من أنها مجرد زيارة استغرقت أقل من ساعة، ولم تترك له تفاصيل كثيرة ليعيد ويزيد فى تأملها وينشغل بها تعويضا عن عدم قدرته على أن يحكى لأحد.



منتصر القفاش

صدرت له

ثلاث مجموعات قصصية:

- نسيج الأسماء - ١٩٨٩
- السرائر - ١٩٩٣
- شخص غير مقصود -١٩٩٩

وروايتان:

- تصريح بالغياب - ١٩٩٦
- أن ترى الآن - ٢٠٠٢

نال جائزة الدولة التشجيعية عن مجموعته «شخص غير مقصود» عام ٢٠٠١

malkaffash@gmail.com